عبدالله عباس الحجي

الأخلاق

مفتاح المحبة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة الحبر الإلكتروني
@bookkn
d110d

الأَخلَاقُ
مِفتَاحُ المحَبَّة

عبد الله عباس الحجي

الأَخلَاقُ
مِفتَاحُ المحَبَّة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-02-6655-1

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 785108 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الإهداء

إلى من كان له الفضل علينا بإشراق قلوبنا بنور الإيمان، وسمو أنفسنا بحسن الأخلاق، البشير النذير، صاحب الخلق العظيم، كما وصفه ربُّ العالمين الذي أحَبَّه وفَضَّله على الخلق أجمعين، ولكل من سار على نهجه واحتذى به ليكون له قدوة وأسوة حسنة في انعكاس أخلاقه على سلوكه وتعامله مع الآخرين.

المحتويات

مقدمة	11
الفصل الأول: أخلاق تَجلب المَحبَّة	15
كونوا لنا زينًا..	17
رُبّ كلمة قالت لصاحبها دعني	20
ترفّق بمن حولك..	23
رفقًا بمشاعر الآخرين	26
حسن الظن وراحة القلب	28
لا تتسرع في الحكم على الآخرين	31
فن التغافل	34
خليها تعدي!!	37
لا تتعجل في محاسبة الناس	39
أما آنَ لِغِل الصدور أن ينجلي	42

البنك العاطفي بين الرمل والصخر 46

اخفض جناحك 49

القناعة كنز وغنى وعز وراحة 52

قلها ولا تكتمها في صدرك.. شكرًا 57

المدح والثناء 59

عجيب وفاء هذا الكلب!! 67

مقابلة الإساءة بالإحسان 70

رسالة الحقوق.. والنصيحة 73

لا يَكن نصحك مُنَفِّرًا.. 77

لا شيء يستحق أن تخسر كرامتك 81

التفاؤل وحسن الظن بالله 84

فاصبر صبرًا جميلًا 87

الفصل الثاني: أخلاق تُنفر الأحبَّة 91

ولو كنتَ فظًّا غليظ القلب 93

كسر القلوب وتنافرها 95

98

لو تكاشفتم ما تدافنتم

الاشتغال بعيوب الناس 101

انتهاك القيم 105

الظلم والمحسوبية 107

الغضب مفتاح كل شر 110

الحسد.. والتباهي بالنعم 113

آفة العُجب 116

مكانتك ليست مبررًا للسخرية والتكبر 118

السلبيون أعداء أنفسهم 121

الفصل الثالث: الدِّين المعاملة 125

الشيخ النراقي مثال للأخلاق الفاضلة 127

مكانتك في قلوب الناس 131

سبع كلمات لكسب قلوب الآخرين 134

آفات تنخر بجسور الثقة 136

كما تَدين تُدان 139

وبالوالدين إحسانًا 142

لا يستحق أن يكون زوجًا لكريمتك 145

رفقًا بالمتطوعين 147

يد الله مع الجماعة 150

سلوك القطيع 154

ثقافة العطاء 158

الإمام الحسن.. وحفظ ماء وجه السائل 164

خدمة المجتمع وإخلاص العمل لله 168

الرياء يُفسد الأعمال 172

إذا أردت أن تأخذ مكاني.. فخذ إعاقتي 175

تقديس القدوة 177

متلبِّس بعباءة الدِّين!! 179

نبي الرحمة ودين المحبة والسلام 181

الإسلام دين السلام.. (خطبة الجمعة من الحرم النبوي) 183

مهارة التعامل مع الناس والاهتمام بهم 187

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مَن بُعث رحمة للعالمين ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليُتمِّم مكارم الأخلاق، ويرسم النهج الصحيح للهداية، ويزرع المحبة في القلوب وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لم تغفل رسالات جميع الأنبياء والمرسلين عن الجانب الخُلُقي، بل كان عنصرًا رئيسًا حتى رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي أكّد في قوله: "إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق".

الأخلاق جمع كلمة خُلُق وتعني "حالة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر بسهولة ويُسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"؛ وقيل هي "الطبع والسجية".

إنّ من الأخلاق ما يكون الإنسان مجبولًا عليها قد اكتسبها من أيام الطفولة، من البيئة المحيطة التي عاش فيها مع الأسرة والمجتمع، فأصبح تطبيقها سهلًا على أرض الواقع تلقائيًا بدون تكلف وتصنع، ومن غير تردد وتفكير. ومن الأخلاق ما يمكن اكتسابها وتعلّمها من الآخرين حتى تصبح راسخة مع مرور الزمن، وقد رُويَ عن رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام أنه قال: "يا علي إذا نظرت في المرآة فقل: اللهم كما حسّنت خَلقي فحسّن خُلقي ورزقي". وخير مَن نتخذه قدوة وأسوة لأخذ الأخلاق منه هو صاحب الخلق العظيم الذي قال فيه تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...}.**

كسب قلوب الناس ومحبتهم مهارة يحتاج صاحبها لعدة مفاتيح لفتح القلوب. والأخلاق هي أحد تلك المفاتيح الرئيسة التي سيتم تناولها في هذا الكتاب، فمن يتحلى بالأخلاق الحسنة ويتجنب الأخلاق السيئة في معاملته مع الآخرين يكون محبوبًا ويأنسون به ويشعرون بالراحة في التعامل معه. رُويَ عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بطلاقة الوجه

وحسن اللقاء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم". ورُويَ عنه عليه السلام أنّه قال: "ثلاث يوجبن المحبة: حسن الخُلُق، وحسن الرفق، والتواضع".

وقد تمّ تصنيف الكتاب إلى ثلاثة فصول، تتناول عددًا من الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، قد تم توثيقها وتسليط الضوء عليها حسب بعض الأحداث والمواقف والتجارب الاجتماعية بشكل عام من أجل العبرة والعظة، والاستفادة من الدروس في ما ينعكس إيجابًا على المجتمع والمصلحة العامة.

الفصل الأول بعنوان (أخلاق تَجلب المَحبَّة) ويحوي عددًا من الأخلاق الحسنة. فمَن أراد العيش في راحة بال وكسب محبة الآخرين يحتاج إلى تحسين خُلُقه معهم، ويتزين بالأخلاق ويراعي في كلماته مشاعر الآخرين، فربّ كلمة قالت لصاحبها دعني لما تحدثُه من أضرار جسيمة، وأن يتحلى بالرفق والمداراة وحسن الظن بالآخرين ويحملهم على محمل الخير، ولا يتسرع في الحكم عليهم، وأن يتغافل ولا يهتم بالتدقيق في التفاصيل وأتفه الأمور، وأن يتحلى بالعفو والتسامح والتواضع والتفاؤل والصبر والقناعة بما رزقه الله، ولا يراقب الناس فيموت همًا وغمًا.

كما لا يغفل عن توجيه الشكر لمن يستحق، والمدح لتشجيع وتحفيز الآخرين لمزيد من العطاء، ومراعاة الأسلوب الأمثل للنصح لعدم تنفير من حوله، والإحسان لمن أحسن ولمن أساء إليه؛ لما له من آثار إيجابية تنعكس على السلوك وتزرع الألفة والمحبة.

الفصل الثاني بعنوان (أخلاق تُنفّر الأحِبَّة) ويتناول بعض الأخلاق الذميمة التي ينفر منها الناس، مثل الفظاظة وغلظة القلب وقسوته، وكشف الأسرار ومثالب الآخرين، والاشتغال بعيوبهم وانتهاك القيم، والظلم، والغضب الذي يعتبر مفتاح كل شر، والحسد وما يحمله من أحقاد وضغائن في النفس فيفرّق بين الأحبَّة، وآفة العُجب والسخرية من الآخرين والتكبر والتعالي عليهم، وغيره من خصال تجعل الشخص منبوذًا ومكروهًا في المجتمع.

الفصل الثالث بعنوان (الدِّين المعاملة) ويتناول عدة مواضيع تعكس السلوك والتعامل الأخلاقي مع الآخرين في مجالات مختلفة مما يعزّز مكانة الشخص في قلوب الناس ويؤثر فيهم بحسن معاملته. ومنها كسب الثقة، وحفظ الكرامة، وإبراز صورة مشرفة للإسلام، والبذل والعطاء، وخدمة المجتمع بأريحية ونفس صافية وأخلاق وإخلاص بما ينعكس إيجابًا على تقدم ونمو

المجتمعات التي يسودها المحبة والسعادة والسلام؛ فتكون أكثر تماسكًا وقوة وصلابة واتحادًا في مواجهة التحديات المختلفة. واختُتِم هذا الفصل بمهارة التعامل مع الناس، والاهتمام بهم لتسليط الضوء بإيجاز على عدد من المفاتيح الأخرى المهمة لكسب محبتهم.

وقد تمّ الوقوف على الكثير من المواقف والتجارب الاجتماعية بشكل عام، وتم توثيقها مع الدروس والعِبر المستفادة منها، والاستشهاد بما ورد من آيات الذكر الحكيم والروايات لمختلف المواضيع، سائلين المولى القدير التوفيق والسداد لتوفير بيئة مفعمة بالأخلاق، يسودها المحبة والسلام داخل الأسرة وبين أطياف المجتمع.

عبدالله الحجي

الفصل الأول
أخلاق تَجلب المَحبَّة

كونوا لنا زينًا..

في إحدى السنوات كنت في رحلة إلى إحدى الدول المجاورة وأقمت في أحد الفنادق مع العائلة ونزلت مع أبنائي مختار وعباس لنقضي دقائق في بركة الفندق. كنا في إحدى زوايا البركة الكبيرة فإذا بمجموعة من الشباب في الزاوية المقابلة كل منهم واضع سلسلة على رقبته وممسك بكأس من الشراب فظننتهم من إحدى الدول الأجنبية ولهم حرية تصرفاتهم الشخصية. لحظات فإذا بأحدهم ينادي صديقه باسمه (جعفر)... نظرت إليهم وقلت في نفسي: وا أسفاه إنهم من أبنائك يا جعفر!!

لقد أوصانا الإمام الصادق عليه السلام بوصية تستحق أن تُكتب بماء الذهب حيث قال: "كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للناس حسنًا، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول"[1].

وصية الإمام لا تقتصر على العلاقة والتعامل مع أصحاب الطائفة فقط بل تتأكد وتمتد مع أصحاب المذاهب الأخرى وأصحاب الديانات الأخرى لتتجلى الأخلاق الرفيعة والسمات النبيلة وتنعكس على تصرفاتهم وسلوكهم فيقول الناس رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدّب به أصحابه. وفي المقابل أي تصرفات سيئة ومشينة منسوبة إلى أصحابه فإنها تسيئ إليه.

خُلُقه الكريم هو امتداد لخُلُق جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الخُلُق العظيم الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق كما قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2].

كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا في كل دور وكل مجال من حياتكم: في تعاملاتكم في المنزل مع الوالدين والأبناء والأزواج، وفي تعاملاتكم في العمل مع موظفيكم وزملائكم ومع أصدقائكم وجميع أفراد المجتمع، في أوطانكم وخارجها، في حلّكم وترحالكم. كونوا لنا زينًا ببناء العلاقات التي يسودها الحب والألفة والمودة والرحمة والاحترام والتقدير والعفو والصفح والتسامح.

ولا تكونوا علينا شينًا بالإساءة إلى الآخرين وسوء الخلق والاعتداء عليهم والظلم والغطرسة والعجب والتكبر والعصيان والطغيان. قال رسول الله ﷺ: "إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلسًا أحسنكم خُلُقًا وأشدكم تواضعًا"[3]. وقال: "ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يُعتد بشيء من علمه: تقوى تحجزه عن محارم الله، وحلم يكف به السيئة، وخُلُق يعيش به في الناس"[4].

الأمثلة كثيرة لا حصر لها لمن أراد أن يكون زينًا ومن أراد أن يكون شينًا وكل شخص يعيش الكثير منها وهو أعلم بها عندما يجلس مع نفسه، وما أبرئ نفسي. فعلى سبيل المثال من المواقف السلبية المنتشرة بنسب متفاوتة في المجتمع منهم من يدّعي التقوى والورع والفضيلة ولكن تصرفاته مع الآخرين تُظهر عكس ذلك، ومنهم من يُعادي أخاه لسنوات وكأنه لا يعرفه، وربما يكون الأجنبي أعز عنده من أخيه، ومنهم من يظلم زوجه/زوجته، ومنهم من يُسيئ معاملة والديه أو أبنائه، ومنهم من لا يسلم أحد من يده ولسانه، ومنهم من يسيئ لجاره، ومنهم من يظلم موظفيه، ومنهم من هو منغمس في الشبهات والمحرمات، ومنهم من يعبث بالممتلكات العامة ويؤذي المجتمع بسلوكه السيئ وتصرفاته غير اللائقة التي تُسيئ للإمام عليه السلام.

رُبّ كلمة قالت لصاحبها دعني

إنها مجرد كلمة مكونة من بضعة أحرف تخرج من بين الشفتين بأقل جهد، وتطير في الهواء نحو المتلقي، فإما أن يكون لها وقع إيجابي على النفس وتكون بلسمًا تداوي العلل، وتكشف الهموم، وتزيل الأكدار والغموم، وتكسب القلوب، وتشحذ الهمم، وتلهم وتحفز وترفع المعنويات، وتدفع إلى مرضاة الله، وترسم خارطة طريق النجاح، وتجلب السعادة، وإما أن تتبرأ من صاحبها وتنفر منه وتطلب منه أن يدعها مكانها لما يترتب على خروجها من انعكاسات وآثار سلبية تجلب الضرر والويلات والحسرات والخلافات.

كلمة قد تخرق الفؤاد وتكون أشد ألمًا من السهم عندما تصدر من شخص متعجرف متبلد المشاعر والإحساس، لا يزن الكلمة قبل خروجها، ولا يقيسها على نفسه إن كان يتقبلها..

كلمة خرجت من متكبر متغطرس لا يرى في الوجود إلا ذاته، فيصاب بآفة العجب والغرور، ويكيل بكلماته ليسقط ويقزّم من حوله ويحرجهم ويُشهّر بهم ويُشوّه سمعتهم من أجل أن يبرز هو ويعلو ويسمو. ولكن مهما علا وارتفع فلن يدوم طويلًا في قمة الهرم الهش، وسيأتي اليوم الذي يهوي للقاع، ولن تنفعه كلمته التي سلّها كالسيف في وجه الآخرين بلا مداراة، ولا تقدير واحترام.

كلمة خرجت لاإراديًا من غاضب متهور لم يتمالك نفسه ويكتم غيظه ويتحلى بالحلم، فجرحت المشاعر وحطّمت وهشّمت ما تم بناؤه من علاقات وطيدة خلال سنوات.

كلمة خرجت من مربٍّ أو معلم أو مسؤول خلقت جوًا من اليأس والإحباط والفشل وتحطيم المعنويات والتقهقر للوراء.

كلمة خرجت من شخص سلبي لا يرى إلا الجزء الفارغ من الكأس، يفتش ويتصيد في الماء العكر، ويتتبع العثرات بقصد الهدم - لا البناء - ومن أجل إبراز نفسه ومن يتوافق مع أهوائه وميوله وتوجهاته ومرئياته وإسقاط ما عداهم بأي وسيلة.

كلمة متهورة في غير محلها خرجت في شأن سياسي، لا تقدم ولا تؤخر، ضررها على النفس أكبر من نفعها.

كلمة خرجت بأفكار هدامة منحرفة بلا ورع ولا تقوى، قد تُخرِج صاحبها من الدين والملّة أو تجعله منبوذًا، قصدها غير نزيه تحمل أغراضًا شيطانية لتضليل الآخرين، وبث الفرقة، وإثارة الفتنة، وتسليط الأضواء، وإسقاط المنافسين لإخلاء الساحة، ونيل الإشارة بالبنان.

كلمة خرجت من حاسد ناقم، غيبةً أو بهتانًا أو استهزاءً أو سخريةً أو لمزًا أو استخفافًا بالعقول والقدرات والكفاءات، بسبب مرض نفسي يعاني منه صاحبه، لم يترك له شيئًا من حسناته إلا حرقها.

فهل السبيل هو الصمت وعدم الكلام؟ كلا وإنما الصمت أفضل لمن لا يستطيع أن يملك لسانه ويتحكم فيه بأدب، ولا يتمكن من قول الخير، فكما قيل لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك. وقال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"[5]. فكل كلمة هي مسجلة عليه إن كانت خيرًا أو شرًا وهو محاسب عليها. قال تعالى: **{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**[6]. ويبقى الأمر مفتوحًا للكلام في أمور عدة بالرغم من الاختلاف الطبيعي في وجهات النظر، والقناعات، والفلاتر التي يحملها كل شخص. فالمجال متاح للنصيحة، والنقد البناء، والحوار الهادئ، والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر القنوات المناسبة والأساليب المثلى مع الالتزام بالاحترام والأدب، والنوايا الحسنة.

ويبقى قرار الكلمة قرارًا شخصيًا يختلف من شخص لآخر، كل حسب حكمته وخلقه وقناعته وتشخيصه وقراءته للموقف، فلكل مقام مقال بشرط أن يتحمل النتائج المترتبة على قراره.

ترفّق بمن حولك..

ماذا دهاه؟! لم يعد كما كان، غاب تواصله وغابت سوالف زمان.. دائمًا مشغول البال، غابت عن شفتيه الضحكات والبسمات!!

ترفّق بمن حولك.. كل شخص من حولك مليء بالأسرار.. قد يكون محملًا بالهموم، ومشاكل اجتماعية أو أسرية، وتحديات وابتلاءات، حرمته الابتسامة، وانشراح الصدر، والوجه البشوش الذي اعتدته منه، وصار متقلب المزاج من حال إلى حال.

لا تتوقع أنه سينفتح على كل شخص، ويبوح بما في صدره ويبث همومه وأحزانه، ويفضفض بما حرمه طعم السعادة، وأخفى الابتسامة عن شفتيه، وجعل قلبه يعتصر ألمًا وكمدًا..

فقد يكون مَن أمامك مبتلى بمرض هو أو أحد أقربائه، وقد يكون يعيش ظروفًا قاهرة، وخلافات ومشاكل مع قريب أو بعيد، أو لحرمانه من إحدى النعم التي يتمناها لتُضفي عليه جوًا من البهجة والسعادة، أو لفقده عزيزًا على قلبه أشعل قلبه لوعة وحزنًا، والأسباب كثيرة لا حصر لها، وقد أعياه السُهاد.. وتغيَّرت الأحوال.

ترفّق بمن حولك.. أحسن الظن به ما استطعت، التمس له الأعذار وإن تعددت، تحلَّ بالصبر والحلم وكظم الغيظ، لا تُكثر من اللوم والعتاب عليه، لا تتسرع في الحكم عليه وتتخذ مواقف وقرارات تجعلك في دوامة الندم، تغابَ.. تغافل عما يمكن التغافل عنه من أي تقصير صَدَر منه.. غضَّ الطرف وكأنك لا ترى ولا تسمع، فقد تكون أنت مكانه في أحد الأيام.

لا تتوقع منه أكثر مما تحصل عليه، فالدهر يوم لك ويوم عليك، ولا تنسَه من الدعاء في ظهر الغيب لتفريج الهموم، وتنفيس الكُربات، وشفاء المرضى، وقضاء الحوائج.

ثق.. بأن من يثق بالله لن يدع نفسه على هذا الحال، ولن يمكث طويلًا، وسيفوض أمره إلى من تكفّل به وبرعايته والعناية به، وسيتوكل عليه ويرضى، ويقنع ويُسلِّم بما كان من الله عز وجل، وأن المصلحة والحكمة في تدبيره جلّ وعلا ليعيش حياته بالحب، والتفاؤل وحسن الظن بالله، ليعود كما كان ويعيش حياته صابرًا محتسبًا بعيدًا عن الهموم والأحزان.. فلا تكن أنت والدهر عليه، وتحلَّ بالصبر والكتمان.

ثق بأنه سيعود كما كان مراعيًا حقوق الأحبَّة والإخوان بصدر واسع، بِشْرُه في وجهه، وحزنه مخفي في قلبه.. الناس منه في راحة، ونفسه في تعب. فقد ورد في الأخبار عن الإمام علي الكرار عليه السلام: "المؤمن بِشرُه في وجهه، وحُزنُه في قلبه، أوسعُ شيء صدرًا، وأذلُّ شيء نفسًا، يكره الرِّفْعَةَ، ويشنأ السُّمْعَةَ، طويل غمُّه، بعيد همُّه، كثير صمتُه، مشغول وقتُه، شكور، صبور، مغمور بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لين العريكة، نفسه أصلبُ من الصَّلْدِ، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ"[7]. وقال عليه السلام: "المؤمن وقور عند الهزاهز، ثبوت عند المكاره، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، الناس منه في راحة، ونفسه في تعب"[8].

رفقًا بمشاعر الآخرين

أحيانًا نجرح مشاعر الآخرين بكلماتنا من حيث لا نشعر ومن دون قصد، وقد يكون تفاخرًا وتباهيًا، والطريقة المثلى هي أن نضع أنفسنا مكان الشخص نفسه، ونقيس إن كان الأمر طبيعيًا ونتقبله لأنفسنا أم لا، قبل أن نرتب على ذلك أثرًا. فقد يكون الحديث فيه إسهاب من شخص إلى آخر عن موضوع ما، من دون أي مراعاة لمشاعر وأحاسيس الشخص المعني الجالس بينهم وهو يكتم امتعاضه وتأثره النفسي. القضايا والمواقف كثيرة ولنتوقف عند هذه المواقف الصغيرة:

من المواقف عندما يتم توجيه رسائل انتقاد لطفل أمام والديه لأمور خارجة عن إرادتهما وليس لهما فيها حول ولا قوة مثل صغر الحجم، تأخر النمو، تأخر المشي، تأخر النطق، تشوه خلقي أو غيره. مثال آخر، الحديث عن أمور يتمناها الشخص ولكن حصولها خارج إرادته، كالحديث بإسهاب عن الزواج أمام فتاة تأخر نصيبها في الزواج، أو الحديث بإسهاب عن الأطفال أمام الآباء المحرومين بدون مراعاة مشاعرهم.

ومثل ذلك الكثير من المواقف التي قد تدخل فيها المقارنات بين هذا وذاك والتي نحتاج فيها إلى الرفق والمداراة قولًا وعملًا لإخواننا كما حثتنا الشريعة السمحاء.

وقد يتجاوز الأمر ذلك بكثير ويصبح الإنسان كالوحش الضاري تنعدم لديه الرحمة والإنسانية في تعامله وسلوكه مع والديه وزوجته وأبنائه وأبناء مجتمعه، ويتصف بالغلظة والشدة التي تجعله ممقوتًا ومنبوذًا لا يُطاق العيش معه.

لقد حثت روايات كثيرة على المداراة والرفق ليس بالإنسان فقط بل حتى بالحيوان. ورد بأن الرفق بالناس هو نصف العيش، وأن الرفق باب من أبواب الخير، وأنه يزين كل شيء يوضع عليه. كما أن مداراة الناس هي نصف الإيمان، وهي مدعاة للأخوة والمحبة.

قال رسول الله ﷺ: "أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض"؛ وقال: "مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش"[9].

وقال ﷺ في الرفق: "إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه"؛ وقال: "إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم باب رفق"[10].

وقال الإمام علي عليه السلام: "دارِ الناس تستمتع بإخائهم، والقهم بالبِشر تُمِتْ أضغانهم"[11].

حسن الظن وراحة القلب

اتصل بأحد زملائه وكان جواله مغلقًا، وفي اليوم الثاني اتخذ موقفًا ضده وخاصمه لعدم رد الاتصال. آخر اتخذ موقفًا من صديقه لعدم حضوره مجلس عزاء والده. وآخر سمع كلمة أو رأى تصرفًا من أخيه فكان تفسيره سلبيًا بمبررات تجلب على نفسه الهم والغم، وتلبسه ثوب الحزن والكدر.

كثيرة هي المواقف التي نمر بها فنتخذ على ضوئها مواقف سلبية من أول وهلة متهمين الطرف المقابل بالتقصير والإهمال وعدم الاكتراث والسبب هو سوء الظن وعدم التماس الأعذار الإيجابية التي تجعل الطرف الثاني في صورة مثالية حتى تنجلي الأمور. فعلى سبيل المثال في الموقف الأول كان يعتقد بأن زميله لديه خدمة (موجود) ورأى اتصاله ولكنه تجاهله ولم يتصل عليه، بينما زميله قد لا تكون هذه الخدمة موجودة لديه ولا يعرف من اتصل به والجوال مغلقًا، أو أنه لم ير المكالمات المفقودة، أو أن جواله كان مفقودًا أو غيره. وفي موقف العزاء ربما لم يعلم صديقه بالعزاء أو أنه شغله شاغل أو قد نسي أو غيره من الأعذار التي يمكن معرفتها من صاحب الشأن نفسه بكل شفافية. وفي الموقف الثالث بخصوص الكلمة والتصرف فما أكثر الخلافات التي تنشب منها والاتهامات النابعة من الهوى والترسبات التي تحملها الأذهان من مواقف سابقة تبقى عالقة على مر السنين.

مثل هذه المواقف من سوء الظن تجعل الإنسان يعيش في حالة توتر مستمر وقلق واضطراب لا يشعر براحة القلب ودائمًا ينظر إلى ما حوله بنظرة سوداوية. سوء الظن بالآخرين مرض يفتك بصاحبه قبل أن يفتك بالعلاقات الأسرية والاجتماعية، فيكون الشخص منبوذًا من أعز أقربائه وأصدقائه بسبب عدم التماس الأعذار لهم، وكثرة عتابهم ولومهم واتهامهم بالنوايا السيئة بدلًا من التريث، وحملهم على محمل الخير حتى تتضح الأسباب الحقيقية.

نظرًا لأهمية حسن الظن لبناء العلاقات الإنسانية وتعزيز الثقة بين الناس وراحة القلب واكتساب مهارة فن التعامل في مثل هذه المواقف فقد وجهتنا الشريعة السمحاء للمنهجية السليمة. قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...}**[12]. وأول ما يتبادر إلى الذهن من السنة الشريفة عند الحديث عن حسن الظن ما يُروى عن النبي ﷺ "احمل أخاك على سبعين محمل من الخير" ولكني لم أجد له مصدرًا في كتب الحديث، وأكتفي بهاتين الروايتين. عن الإمام علي عليه السلام: "ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا"[13]. وعنه عليه السلام: "اطلب لأخيك عذرًا فإن لم تجد له عذرًا فالتمس له عذرًا"[14].

إنها مهارة تحتاج إلى التحلي بالصبر والحلم والعفو والتسامح والتدريب والممارسة لقلب الكفة من سوء الظن إلى حسن الظن. ولكن يحتاج المرء أن يكون على وعي ويقظة وحذر ولا يكون فريسة سائغة لمن يحاول استغفاله واستغلال طيبته وحسن ظنه بالآخرين، فكما قال رسول الله ﷺ: "المؤمن كَيّس فَطن"[15].

لا تتسرع في الحكم على الآخرين

منذ بداية الرحلة وصاحبه جالس على المقعد المجاور له في الطائرة ممسك بجواله بين يديه يلعب بحماس وتركيز. انتظره لبرهة من الزمن لعله يتوقف ولكن لم يحدث ذلك فقاطعه بأدب قائلًا: هل تسمح لي بخمس دقائق من وقتك؟ قال له تفضل بكل سرور... فبدأ يتحدث إليه ويوجه له النصيحة قائلًا: ماذا لو استثمرت هذا الوقت في قراءة القرآن أو كتاب آخر تستفيد منه بدلًا من هدر وقتك وتضييعه فيما لا ينفع فقد ورد عن رسول الله ﷺ: "لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عُمُره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت"[16]. ومن وصاياه لأبي ذر رضي الله عنه: "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"[17].

كان صاحبه صامتًا مطرقًا برأسه منصتًا للنصيحة بصدر رحب وما أن انتهى من كلامه قال له هل انتهيت من نصيحتك؟ فقال نعم ولكن أرجو المعذرة ولا تزعل مني... قال له لن أزعل وأتقدم لك بجزيل الشكر والتقدير على هذه النصيحة القيمة ولكن هل تعرف هذه اللعبة والغرض منها قبل توجيه مثل هذه النصيحة؟ فقال له لعبة كسائر الألعاب التي تهدر الوقت بلا نفع ولا فائدة.

حينها نظر إليه وقال له ليتك سألتني عن هذه اللعبة والهدف منها وجمعت بعض المعلومات قبل أن تحكم عليها وعليّ بمجرد نظرة بعيدة.. قال وما عسى أن تكون؟ قال له نصيحتي الأولى لك هي أن لا تحكم على الآخرين بمجرد نظرة أو ما تسمعه وتبني الحكم بحسب الصورة المرسومة في ذهنك والتي ليس شرطا بأن تكون هي الواقع. ألم تسمع بقصة ذاك الذي رأى أحد المصلين في المسجد يطيل النظر إلى جواله فصب عليه غضبه بأن المسجد مكان للعبادة وله قدسيته وعليه أن يترك الجوال ويتوجه لله بالعبادة والصلاة وقراءة القرآن والذكر؟ فما كان من صاحبه إلا أن رفع له جواله لينظر إليه ولم ينطق بكلمة واحدة ثم عاد للنظر إليه مرة أخرى.. لقد كان منشغلًا بقراءة أحد الأدعية.. فقال

له ولكنك لم تكن تقرأ دعاء ولم تكن تقرأ القرآن بل كنت تلعب! حينها وضح له بأن الألعاب ليست كلها هدرًا للوقت بل إن الكثير منها للتعليم والتفكير والتركيز وتحريك الذهن فالعقل يحتاج للتدريب كما هو الحال للعضلات التي تحتاج للتدريب بانتظام وإلا كانت ضعيفة واهنة. ولكي تطمئن بأنني لا أضيع وقتي فهذه اللعبة لتدريب الذاكرة وتنشيط العقل.

اعتذر إليه صاحبه وتعلم درسًا ثمينًا لن ينساه في حياته ليس فقط مع الجوال بل في مختلف شؤون الحياة ليجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ويتحقق من الأمر ويحسن الظن بالآخرين، ويسعى لمعرفة الأسباب والمبررات، ويتريث قبل الحكم على الآخرين لمجرد ما يراه أو يسمعه. قال الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: "أنهاك عن التسرع بالقول والفعل"[18].

فن التغافل

لن تعيش بمفردك وإن عشت وعاشرت الآخرين فلن تتوافق آراؤهم ووجهات نظرهم مع آرائك ووجهات نظرك، ولن تسمع منهم فقط ما يعجبك ويؤنس صدرك من الكلمات، ولن يروق لك الكثير من التصرفات والسلوكيات. كل ذلك ليس محصورًا في زاوية واحدة بل أينما شرّقت وغرّبت في منزلك مع الأبناء وبين الزوجين، بين الرئيس والمرؤوس، وفي فناء المجتمع الفسيح.

إن كنت ممن يأخذ كل كلمة وكل تصرف على محمل الجد والتدقيق والتحليل والتأويل وتُكثر من العتاب واللوم وتكون لديك ردة فعل مباشرة لتنتصر لذاتك وتدافع عنها، أو تبذل قصارى جهدك لتُقوّم وتُصلح كل تصرف لا ترتضيه فقد ينفر منك زوجك ومن حولك، وقد تكون منبوذا في المجتمع. ولا شك بأنك ستنغص عيشتك وتضع نفسك تحت ضغط نفسي يكون له بالغ الأثر على صحتك وقد لا تنجو منه. قال الإمام علي عليه السلام: "من لا يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته"[19] وقال: "لا حلم كالتغافل ولا عقل كالتجاهل"[20]. وقال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): "تسعة أعشار العافية في التغافل".

وصفة التغافل وإن كانت مُرة والكثير لا يستسيغها ويصعب عليه العمل بها وينظر إليها على أنها ضعف وانهزام واستغلال إلا أن الواقع الذي نعيشه يُحتم علينا توجيه البوصلة للتدرب على فن التغافل والتغابي وممارسته بحكمة كلما استدعت الحاجة. يقول وليم شكسبير: "التدقيق في أتفه التصرفات قد يهوي بك إلى الجنون لذا تغافل مرة، وتغابَ مرتين". لن أخوض في ذكر المواقف والأمثلة لأنه بحر شاسع متلاطم الأمواج وكل شخص له تجاربه في المنزل والعمل والمجتمع التي تتطلب منه أن يرى أحيانًا بعين واحدة ويغمض العين الأخرى، ويسمع وكأنه لا يسمع شيئًا، ويتجاهل ويتحكم في أعصابه ويتحلى بالصبر والحلم، ويحسن الظن ويحمل على محمل الخير ويفتش عن الأعذار والمبررات ويتغافل ويتغابى.

البحث عن الكمال مستحيل ولا بدّ من التغافل فالله جلّ وعلا يقول: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا}**[21]. ذلك نوع من أنواع التغافل ولكن مع ذلك يحتاج الإنسان أن يحافظ على كرامته ويتصرف بحكمة وفطنة وروية حسب المواقف التي يواجهها لكي يبتعد عن التعميم. فكما ورد: "المؤمن كَيّس فَطن". وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل"[22].

وإن كان التغافل خلق كريم للتعايش والتعاشر إلا أن بعض المواقف قد لا تحتمل تكرار واستمرار التغافل معها وتتطلب موقفًا صارمًا وتصرفًا حكيمًا يتناسب معها للحد من خطورتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع. كما أن بعض الأشخاص بطبعهم انتهازيين واستغلاليين ويتعاملون مع التغافل على أنه ضعف وغباء فيتمادون في سلوكهم وتصرفاتهم السلبية بلا مراعاة ولا احترام مما يتطلب إعادة النظر معهم في حال تكرر ذلك منهم. يقول الشاعر أبو تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

خليها تعدي!!

تواجه الإنسان في حياته بعض الأمور التي لا يرتضيها من عادات وتقاليد وتصرفات وسلوكيات يقوم بها الآخرون بقصد أو بدون قصد يتأثر وينزعج منها في كل مرة تتكرر، وقد ينتج عنها لوم وعتاب وتخاصم وتباعد وتنافر وتوتر في العلاقات بين الأعزاء. فهل يستحق الوضع كل ذلك عند تكرر هذه المواقف والأحداث من أشخاص أعزاء تتعامل معهم باستمرار؟

كثير من الأمور ربما علاجها التسامح والتجاهل وتركها تعدي بدون التوقف عندها كثيرًا، والتدقيق في تفاصيلها وجزيئياتها وسوء الظن والطعن في الطرف المقابل الذي قد يكون له ظروفه الخاصة ومبرراته لتكرار ذلك، أو لطبع، أو عادة أو خصلة اعتاد عليها ويصعب عليه التخلص منها، أو لقيم خاصة به. خليها تعدي أو ما يقال باللغة الإنجليزية (لت جو - Let go) تؤدي دورًا كبيرًا في نفسية الشخص حينما يبدأ بتطبيقها في ما يتناسب من مواقف ليتخلص من الضغوطات النفسية والتفكير السلبي وسوء الظن بالآخرين، وحمل كل الأمور على محمل الجد، وعدم غفران الزلات والخطيئات من المقربين والأصدقاء. خليها تعدي تبعث في النفس التسامح والعفو والصفح والتغافل وعدم إعطاء الأمور أكبر من حجمها وأكثر مما تستحق لكي يعيش المرء محافظًا على هدوئه وعلى علاقاته العائلية والاجتماعية بصفاء نفس وراحة بال واطمئنان. خليها تعدي تُخلص الإنسان من المراقبة اللصيقة للآخرين وتتبُّع زلاتهم وأخطائهم وتخلصه من التفكير الذي يجعله يعيش حالة من التوتر والانفعال وربما يصل الأمر بالبعض للحقد والضغينة والانتقام.

خليها تعدي هي سبيلك لراحة البال والتغيير من أسلوبك للتعايش مع الآخرين ولا يعني ذلك التطنيش وعدم الاهتمام بهم وعدم احترامهم وتقديرهم. مما لا شك فيه بأنك لن تستطيع تغيير أي شخص أبدًا مهما حاولت، والتغيير يأتي من داخل النفس. فإذا سلمنا بذلك ولم يغير الشخص من نفسه فماذا عسى أن تفعل أنت لتغييره. وإن لم تستطع ولن تستطيع فما عليك إلا العمل بخليها تعدي

وحاول أنت من تغيير نظرتك وطريقة التعامل والتكيف مع الوضع قدر المستطاع بالتركيز على الإيجابيات وليس فقط على السلبيات. خليها تعدي تجعلك تتوقف عن إلقاء اللوم والعتاب على الآخرين وتجعلك تتعلم تحمل المسؤولية والتحكم في نفسك وحياتك وتتعايش مع من حولك بعيدًا عن الإصرار على محاولة تغييرهم بما يتوافق مع أهوائك ورغباتك. خليها تعدي تجعلك تنسى الماضي الذي أحطته بالظلمة والسواد، وتفتح عينيك على المستقبل المشرق لتخطو خطوات جريئة تنقلك نقلة نوعية للتخلص من الطاقات السلبية التي لا تجر على صاحبها إلا الهم والغم والنكد والخسران.

لا تتعجل في محاسبة الناس

قرأت في كتاب فن التعامل مع الناس للكاتب (ديل كارنيجي) فصلًا بعنوان "لا تتعجل في محاسبة الناس" يقول إن المجرمين لا ينظرون إلى أنفسهم بأنهم مجرمون بل مصلحون اجتماعيون ويرفضون أن يلوموا أو يعاتبوا أنفسهم على أعمالهم الإجرامية.

كل شخص لا يرى نفسه بأنه مقصر أو مخطئ ولا يتقبل اللوم والعتاب والمحاسبة من نفسه أو من أي شخص آخر قريب أو بعيد. هذه النظرة ليست شرطًا بأن تكون صحيحة ولكن المرء يفعل المستحيل للحفاظ على كرامته ولا يسمح لأي مخلوق بإهانته.

كثرة اللوم والعتاب لها آثار وانعكاسات سلبية فهي تورث الضغينة وتنفر الأحباب وتخلق جوًا مشحونًا بينهم. قال الإمام علي عليه السلام: "الإفراط في الملامة يشب نار اللجاجة"؛ وقال: "لا تكثرن العتاب، فإنه يورث الضغينة، ويدعو إلى البغضاء"[23].

الإنسان ليس معصومًا عن الخطأ وله زلات وعثرات وعلى هذا الأساس يتعامل الله عز وجل معه بلطف ورحمة إذ فتح له باب الاستغفار والتوبة كلما أذنب، ولم يتعجل في محاسبته وعقابه. وحري بنا أن ننهج هذا المنهج الرباني لتصفية النفوس ونصفح عن الآخرين بما أننا دومًا نلهج إلى الله عز وجل ونطلب منه الصفح والمغفرة.

كثير من الخلافات التي تطرأ تافهة لا تستحق الوقوف عندها وتضخيمها لتأخذ أكبر من حجمها الطبيعي لو تم التمعن فيها بروية وحكمة، ولكنها تُستغل من قبل البعض ممن يريد التصيد في الماء العكر، وتفتح أبواب اللوم والعتاب والمحاسبة الدقيقة العسيرة التي تغلق جميع الأبواب.

ولو سلَّمنا جدلًا بصدور أمر أو تصرف غير مرغوب من أي شخص فهل يعطينا ذلك الحق بأن نُنزل به جام غضبنا ونتعدى عليه بكلمات جارحة أو نقد لاذع أو اتخاذ مواقف المقاطعة القاسية؟

ألا نخشى أن يحل بنا نفس الأمر من منطلق قاعدة "كما تدين تُدان"؟ ألا يستحق أن نحسن الظن به ونحمله على محمل الخير ونجد له ولو عذرًا أو مبررًا واحدًا ونضع أنفسنا مكانه ونتفهم الظروف المحيطة به التي جعلته يتصرف هذا التصرف؟

قبل التعجل في المحاسبة وإنزال أقسى العقوبات ألا يمكن التغافل وغض الطرف عما يمكن التجاوز عنه؟ قال الإمام علي عليه السلام: "من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته"[24].

ويختم الكاتب بأن الانتقاد اللاذع جعل الكاتب البريطاني الشهير توماس هاردي يقلع عن الكتابة، كما دفع الشاعر الإنجليزي توماس شاتروثون إلى الانتحار. وحياتنا الاجتماعية لا تخلو من الكثير من المواقف التي حطمت الكثير من شبابنا الطموح المثابر وأثّرت سلبًا على معنوياتهم بسبب النقد اللاذع بأسلوب غير مناسب وغير حضاري.

أما آنَ لِغِل الصدور أن ينجلي

وقفة تأمل مع الذات!!

انتهى من صلاته يوم الجمعة والتقى بعض أصدقائه وسلم عليهم بحرارة وودعهم لكونه عازمًا على أداء فريضة الحج، وطلب منهم براءة الذمة. وفي هذه الأثناء أعرض بوجهه عن أحدهم ولم يسلم عليه ولم يطلب منه براءة الذمة. كان ذلك بسبب خلاف شخصي أدى إلى تعكر العلاقة بينهما لعدة سنوات.

يا تُرى أيهم أولى لطلب العفو وبراءة الذمة قبل التوجه لأداء الحج؟ هل هو الشخص الذي علاقتي معه جيدة أم ذاك الذي بيني وبينه خلاف أدى إلى قطع العلاقة بيننا؟

الحج مناسبة عظيمة يقف فيها الحاج متضرعًا منكسرًا طالبًا العفو والمغفرة من الله عز وجل والله جلت عظمته كريم رحيم لا يرده خائبًا بل يعفو عنه ويعود كما ولدته أمه... أين نحن من هذا الكرم الإلهي والرحمة الربانية... أنعجز عن العفو والصفح عمن أساء إلينا من خلق الله عز وجل، وقد وعدنا الله بالأجر العظيم وأمرنا بالعفو والصفح عنهم كما نحب أن يعفو عنا؟ قال تعالى: **{... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...}**[25] وقال: **{... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ...}**[26].

سنوات من التشاحن والتخاصم والقطيعة والهجران بين الزوج وزوجه وبين الأب ووالديه وبين الأخ وأخيه وبين الصديق وصديقه. لو وقفنا على الأسباب، كثير منها بل معظمها، لا تستحق أن نخسر علاقات تربطنا بأخوة لنا. وما أعظم تلك النصيحة التي وجهها أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر حين قال: "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل

الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك!"[27].

الاختلاف في وجهات النظر أمر طبيعي لاختلاف الأطباع والأساليب والفكر والثقافات والمعتقدات وفلاتر استقبال الرسائل عند كل منا، وكلنا خطاؤون تصدر منا الإساءة لمن حولنا. بالطبع لا للتعميم (فلو خُليت خُربت) ويوجد من النماذج ما يكون بينها قضية دم ولكن، يا سبحان الله، تتسع قلوبها وتعفو وتصفح قربة إلى الله تعالى.

السيرة الشريفة والأخلاق المحمدية تنهانا عن الهجران لأكثر من ثلاثة أيام، بل تربينا على ثقافة التسامح والاعتذار من المسيء، والعفو من المُساء إليه بالمحافظة على عزة المعتذر وكرامته. فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: "إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوَّل إلى يسارك واعتذر إليك فأقبل عُذْرَه"[28]. وقال الإمام علي عليه السلام: "أقبل عُذر أخيك، وإن لم يكن له عُذرٌ فالتمس له عُذرًا"[29].

البعض يتصور بأن العفو والصفح هو ضعف وذل وهذه نظرة خاطئة بل في العفو العزة والرفعة وسمو الخلق، والتاريخ مليء بالكثير من المواقف التي كان للعفو فيها أثر كبير في تغيير أخلاقيات وسلوكيات الطرف المقابل. ورد عن سيد الخلق والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم: "عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا، فتعافوا يعزكم الله"[30].

والمرض المنتشر هو أن يبرئ كل شخص ساحته ويعزو الخطأ إلى الطرف الآخر فيستمر الهجران، بينما صاحب الخُلُق العظيم والنظرة الإيجابية لم يغفل هذا الجانب بالحث على الإقدام والمبادرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك"[31]. يا لها من دروس عظيمة تستحق الوقوف عندها والتدبر في معانيها لنرفع قبعة التعالي والتفاخر والتكبر والنظر إلى الآخرين من الأعلى، فسمو الخُلُق هو أن لا تنتظر إلى من وصلك لتصله ولا إلى من أحسن إليك فتحسن إليه.

أحيانًا يكون الخطأ فادحًا كبيرًا ويتعكر الجو خصوصًا لو تُرك لفترة طويلة، وهنا يبرز دور المجتمع في إصلاح ذات البين ليسود الحب والألفة والتكامل بين أفراد المجتمع. ورد عن أمير

المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم"[32].

إنها فرصة لمن أراد الحج قبل أن يذهب ويطلب العفو من الله جلّ وعلا أن يفتش في صحيفته ويبادر ويصل كل من أساء إليه ويطلب منه العفو والصفح والتسامح وبراءة الذمة قربة إلى الله تعالى، وخوفًا من عقابه، وطمعًا في عطاياه الجزيلة. فهذه الدنيا زائلة، ولا تستحق من يحمل في صدره غلًّا وحقدًا على أحد. ولا يقتصر ذلك على فترة الحج ولكن في أي وقت.

قد نستصعب الأمر وتراودنا الشكوك والظنون بأن الطرف المقابل ربما لن يقبل الاعتذار ولن يعفو، ولكن لنحسن الظن ونقوم بما يمليه علينا واجبنا والأخلاق المحمدية، ونترك الأمر بين يديه ليتحمل وزره فهو من سيخسر شفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وورود الحوض عليه، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : "من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه، لن يرد عليَّ الحوضَ غدًا"؛ وقال: "من لم يقبل العُذر من مُتنصِّلٍ، صادقًا كان أو كاذبًا، لم ينل شفاعتي"[33].

قال تعالى: **{... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ...}**[34].

البنك العاطفي بين الرمل والصخر

عندما صفعه صديقه على وجهه خطَّ بإصبعه على الرمل: صفعني صديقي، وعندما أنقذ حياته من الغرق بحث عن صخرة ونحت عليها هذه الذكرى الجميلة. حينها وقف صديقه أمامه مستفسرًا عن السر في ذلك فأجابه عندما أسأت إليّ كتبت هذه الذكرى على الرمل لكي تذهب في مهب الريح ولا يبقى لها أثر في مخيلتي، وعندما أسديت إليّ معروفًا وأنقذت حياتي حري بي أن أنحت هذا المعروف على الصخر لكي يبقى ذكرى خالدة لا أنساها مدى الدهر.

قصة يتناقلها الأحبَّة والأصدقاء في ما بينهم، سواء كانت حقيقية أو خيالية، فلا تخلو من العِبرة والأخذ منها ما يمكن اتخاذه منهجًا وسلوكًا أخلاقيًا وتربويًا لكيفية التعامل مع ما يشوب العلاقات من كدر واختلاف في وجهات النظر. في كتابه "العادات السبع للناس الأكثر فاعلية" تناول "ستيفن كوفي" موضوع البنك العاطفي الذي شبهه بالبنك المادي، فالإنسان يحرص على تحصيل المال وإيداعه في البنك لزيادة رصيده. وكذلك الحال للبنك العاطفي فالإنسان يزيد من رصيده بمعاملته وسلوكه وتصرفاته مع الآخرين. زيادة الرصيد لا تتأتى بسهولة وإنما تتطلب بذل الجهد والوقت لزيادة محسوسة في الرصيد، بينما تصرف وسلوك واحد غير محسوب قد يصيب هذا البنك بالإفلاس لدى البعض من البشر خلال ثوانٍ معدودة.

هل خُلق الإنسان معصومًا من الزلل والخطأ، ومن منا يستطيع أن يحكم نفسه ليبلغ الكمال في تصرفاته ومعاملاته مع الآخرين؟ فالحياة لا تخلو من الاختلاف في وجهات النظر وسوء التفاهم، وقد تحتد بعض المواقف وتتأزم الأمور وتصل إلى طريق مسدود، والحكيم من لا يغفل عن بنوكه العاطفية لدى الآخرين ولا يتخذ من الصخر مذكرات له للأمور التي ينبغي نسيانها.

إن ما يكبّد الخسائر في البنك العاطفي هو الإخفاق في مراعاة العلاقات والمعاملات من جانب، ومن جانب آخر ما ينهجه الكثير في كيفية التعامل مع الذكريات المؤلمة. فكم هي نسبة من

يكتب ذكرياته المؤلمة على حبيبات الرمل لتذهب سدى في مهب الريح في أسرع وقت ممكن ويمسحها من ذاكرته قبل أن تعشِّش بين ثنايا ضلوعه، وتتراكم لتولد أحقادًا يصعب التخلص منها. لقد اختلط الأمر بالنسبة للإساءة والإحسان حتى طغى تدوين مواقف الإساءة على المواقف الجميلة. صحيح أن الذكريات لا تُنحت على الصخر بل إن البعض ينحتها على قلبه ويتخذ كراسًا ليدون فيه مواقفه وذكرياته المؤلمة، ويتصيد زلات الآخرين وعثراتهم ليؤكد إصراره على عدم الرغبة في التغاضي والنسيان، حتى لو شاءت الأقدار نسيان ما مضى لاستعاد ذكرياته بقراءة مذكراته، بحيث لو التقى بمن أساء إليه منذ سنوات لاستحضرها وكأنها وليدة الساعة.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل منهم من يفيض صدره غيظًا ويسعى للفضفضة عن نفسه عبر الوسائل الإعلامية ببث سموم الحقد والبغض للتشهير والتجريح والإساءة لمن يضمر له الحقد بشكل صريح ليس بقصد النصح والإصلاح والنقد البنّاء والتوجيه والإرشاد والتطوير وإحداث التغيير الإيجابي. إن من يسلك هذا المنحى لا يهمه سوى تشويه صورة خصمه والنيل منه والحط من قدره في المجتمع لإرضاء أغراضه وأهوائه الشيطانية العدوانية، وتحقيق مآرب دنيوية بعيدة عن المعاني السامية والأخلاق المحمدية. وما أعظم ما قال الإمام السجاد عليه السلام: "إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره"[35] فهذا هو الخُلُق النبوي الداعي للتسامح والعفو والصفح وتحصين النفس من الغيبة والبهتان وغضب الرحمن.

اخفض جناحك

من مواقف مولانا أبي تراب أمير المؤمنين عليه السلام أنه اشترى ثوبين بخمسة دراهم؛ أحدهما أفضل من الآخر، واحد بثلاثة والآخر بدرهمين. فقال لغلامه قنبر خذ الثوب الذي بثلاثة. قال قمبر: أنت أولى به يا أمير المؤمنين تصعد المنبر وتخطب في الناس، قال: يا قنبر أنت شاب، ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون.

هذا أحد المواقف التي تُظهر تواضع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام والذي نحن بأمس الحاجة للاقتداء به في حياتنا اليومية للتواضع مع الأبناء والأزواج والوالدين والأصدقاء وجميع أفراد المجتمع.

من الناس من يشعر بحالة نفسية من العُجب بنفسه والتكبُّر بسبب المنصب أو المال أو الثروة أو المكانة العلمية والاجتماعية أو غيرها، فيرى من المعيب أن يتواضع للآخرين وقد يبرر بأن ذلك من سمات وصفات الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام)، ولكن في الواقع لو فتّشنا من حولنا لرأينا نماذج مشرفة يُفتخر بها من طلبة العلم أو أصحاب المناصب والثروات أو عامة الناس لما يتحلون به من تواضع مع مختلف طبقات المجتمع ولا يفرقون بين الغني والفقير أو الصغير والكبير.

ومن جهة أخرى تجد مواقف يؤسف لها ممن يرى نفسه من الطبقة المخملية المميزة كما ذُكِر أعلاه، فيَشمخ بأنفه ويتعالى، ولا يُسلّم على من هم أقل شأنًا منه، وإن سَلّم عليهم لا يصافحهم وإن صافحهم فبأطراف أصابعه، ووجهه متجه لشخص آخر خلاف ما يصنعه مع الشخص الذي هو في مرتبته.

ورد في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالًا على الله"[36]. ويقول البعض لعل المراد من التيه الاعتزال عنهم وترك التواضع لهم. ويقول عليه السلام: "من أتى غنيًا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه"[37].

يتوهم البعض بأن في التواضع مذلةً وإهانةً وانكسارًا ولكن تلك النظرة بعيدة عن الواقع.

فلو كان الأمر كذلك لم يأمرنا الله به وهو الذي كرم الإنسان ولا يرضى له الإهانة. بل أمرنا الله جلّ وعلا بخفض الجناح للمؤمنين "أي التواضع". قال تعالى: **{لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}**[38].

ومن تواضع لله رفعه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله"[39].

وقال الإمام علي عليه السلام: "ثمرة التواضع المحبة؛ والتواضع يكسوك المهابة؛ والتواضع سلم الشرف"[40].

القناعة كنز وغنى وعز وراحة

ذهب أحد الأطفال إلى حديقة فأخذ يلعب ويقفز ويمرح، تكاد الأرض أن لا تسعه من البهجة والسعادة، وفجأة لاحت منه التفاتة إلى طفل كان جالسًا بملابس نظيفة مرتبة وحذاء جديد فتأثر وتحسر كثيرًا عندما رأى ملابسه الرثة وحذاؤه الممزق. أُعجب بذلك الطفل وهندامه وتمنى أن تكون ملابسه وحذاؤه ووضعه مثله. وما هي إلا لحظات وإذا به يقف في صمت مندهشًا مستغربًا لم يصدق ما رأته عيناه عندما أحضرت والدة ذلك الطفل عربة معها ووضعته فيها وانصرفت معه. حينها نسي ملابسه وحذاءه الممزق وتأثر كثيرًا، وشكر الله وأثنى عليه على نعمة الصحة والعافية عندما رآه معاقًا لا يستطيع الحركة واللعب.

هذا هو حال الكثير منا.. ننظر إلى ما عند غيرنا ونتمنى مثله وننسى ما أنعم الله به علينا من نعم أخرى ونعيش حالة من القلق والهم والغم والضغوط النفسية التي تكدر صفو عيشنا، هذا إن لم يصبنا مرض الحسد فنتمنى زوال النعم عنهم. الله جل ثناؤه عدل في حكمه وتدبيره وعندما يسلب شيئا من شخص يعوضه بشيء آخر وذلك لحكمة بالغة تخفى علينا تستوجب الثقة والتسليم والرضا والإيمان بالله جلّ وعلا.

ما المقصود بالقناعة؟ وكيف نربي أنفسنا لنكون أكثر قناعة؟ وماهي الآثار والفوائد المرجوة؟

القناعة هي الرضا والقبول كما وردت في المعجم العربي. وعندما سأل النبي ﷺ جبرائيل: ... ما تفسير القناعة؟ قال: "تقنع بما تصيب من الدنيا، تقنع بالقليل وتشكر اليسير"[41].

كيف نربي أنفسنا لنكون أكثر قناعة؟

كل شخص مطلوب منه السعي والعمل بجد والمثابرة والكفاح ومواجهة التحديات في هذه الحياة لتحقيق أهدافه وطموحاته السامية العالية، لا أن يكون جليس الدار ويتمنى بلا عمل وسعي، أو يتقاعس ويتكاسل. ومقابل ذلك هو مطالب بالتوازن والقناعة والرضا والتسليم بما قسمه الله له من رزق كما قال جلّ وعلا: **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}**[42].

وفي آية أخرى يربينا كيف نتعامل مع الآخرين ولا ننظر إلى ما عندهم من متاع الدنيا الذي جعله لغرض الابتلاء والامتحان، ونثق بأن ما عند الله هو خير وأبقى. **{وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**[43].

وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: "اقنع بما قسم الله لك ولا تنظر إلى ما عند غيرك ولا تتمنّ ما لست نائله، فإنه من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ حظك من آخرتك"[44].

ومن الأمور المهمة أن لا تُراقب من هو أعلى منك فقط فمن راقب الناس مات همًّا وكمدًا، وانظر إلى من هو دونك في المقدرة فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "انظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك"[45].

كما لا ينبغي أن تتعلق كثيرًا بنعيم الدنيا وزينتها ولا تكن الدنيا أكبر همك. قال تعالى: **{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ}**[46]. وقال الإمام علي عليه السلام: "اقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم، فإن المؤمن البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه"[47].

هذا بالإضافة إلى الثقة بالله وعدالته، والإكثار من الحمد والشكر، والتحلي بالصبر والزهد والتواضع، والتخلص من الحسد والغيرة والطمع، والإكثار من التوجه إلى الله بالدعاء.

ما هي الآثار والفوائد المرجوة من القناعة؟

الآثار والفوائد كثيرة نكتفي بذكر سبعة آثار منها:

1. **راحة البال والبدن وطمأنينة القلب:**

- القناعة بلسم لمن أراد العيش سعيدًا هنيئًا مرتاح البال بعيدًا عن الهم والغم

والضغوط النفسية.

- الإمام الحسين عليه السلام: القنوع راحة الأبدان[48].

- الإمام علي عليه السلام: من قنع لم يغتم[49].

2. **كنز وغنى:**

- رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "القناعة كنز لا يفنى"[50].

- رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس[51].

- الإمام علي عليه السلام: طلبت الغنى فما وجدت إلا بالقناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا[52].

3. **النزاهة والعفاف:**

- الإمام علي عليه السلام: من قنعت نفسه أعانته على النزاهة والعفاف[53].

4. **عز وقوة:**

- الإمام علي عليه السلام: ثمرة القناعة العزّ[54].

5. **صلاح النفس:**

- الإمام علي عليه السلام: أعون شيء على صلاح النفس القناعة[55].

6. **تخفيف الحساب يوم القيامة:**

- رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقنع بما أوتيته يخفَّ عليك الحساب[56].

7. **التخلص من الحسد والطمع والأمراض الأخرى.**

7. زيادة الخير بسبب كثرة الشكر لله.

قال الإمام الشافعي (رحمه الله):

رَأَيتُ القَناعَةَ رَأسُ الغِنى فَصِرتُ بِأَذيالِها مُتَمَسِّكِ

فَلا ذا يَراني عَلى بابِهِ وَلا ذا يَراني بِهِ مُنهَمِكِ

فَصِرتُ غَنياً بِلا دِرهَمٍ أَمُرُّ عَلى النّاسِ شِبهَ المَلِكِ

وما أجمل أن نكثر من دعاء النبي ﷺ ونطلب من الله عز وجل القناعة والبركة في الرزق: "اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه".

قلها ولا تكتمها في صدرك.. شكرًا

شدّت انتباهي إحدى حلقات برنامج "المسامح كريم" حين حَضَرت إحدى الزوجات من مدينة سيهات داعية زوجها، ليس للاعتذار منه والتسامح كما هو الهدف من البرنامج، بل حضرت لتقدم له الشكر والتقدير أمام الملايين من الناس.

الموقف قد يكون غريبا في نظر الكثير من الناس لكنها ذهبت بكل جرأة لتعبر عن شكرها وامتنانها لزوجها. مهما تكن النظرة ومن أي زاوية يَنظر إليها كل شخص فالأغرب من ذلك هو تبلد المشاعر لدى الكثير من الأشخاص، وأود التركيز هنا في الهيكل الذي يبني الأسرة ويساهم في بناء المجتمعات تحديدًا بين الزوج وزوجته. لقد قطعت هذه الزوجة هذه المسافة لتقول لزوجها أمام الملايين من الناس شكرًا بينما يستكثر الزوج أو الزوجة في بعض البيوت التلفظ بهذه الكلمة المكونة من أربعة أحرف في داخل البيت بل حتى داخل الغرفة بين حيطانها الأربعة.

إنها كلمة لها سحر غير طبيعي وتأثير كبير على النفس لتقديم المزيد من العطاء والتضحية والإيثار في كل مجال من مجالات الحياة. وقد لاحظت الكثير من كبار مسؤولي الشركة التي كنت أعمل فيها في المناصب العليا يبحثون ويفتشون ويبذلون قصارى جهدهم وينتظرون سماع هذه الكلمة من رؤسائهم. ليس ذلك فحسب بل إن الله سبحانه وتعالى أوعد عباده بالزيادة مع الشكر، وكذلك المخلوق فإنه يقابل الإحسان بالإحسان والزيادة في الإنتاج والعطاء عندما يُقدَّم له الشكر. قال تعالى: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}**[57].

فعلى سبيل المثال ها هي أيام شهر رمضان قد تصرّمت فكم زوج قدم لزوجته الشكر والثناء على جهدها وخدمتها ووقفتها كل يوم في المطبخ لإعداد وجبة الإفطار والخدمات الأخرى التي تقدمها له طوال أيام السنة؛ وكم زوجة قدمت لزوجها الشكر والثناء على كسوة العيد والخدمات الأخرى التي قدمها لها؟

بالشكر تدوم النعم وهي ثقافة جديرة بالأخذ بها؛ فمن لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق، ومن ينقطع عن شكر الخالق لن يزيده من فضله ونعمه. اِبحث من حولك عن كل من أسدى إليك معروفًا وخدمة وقلها ولا تكتمها في صدرك (شكرًا) وستجني منها الكثير وتكسب قلوب الآخرين ومحبتهم، ولن تخسر شيئًا.

شكرًا لله عز وجل، وشكرًا لوالديّ الغاليين، وشكرًا لزوجتي الحبيبة، وشكرًا لأبنائي الأعزاء، وشكرًا لكم جميعا أحبتي وأصدقائي وزملائي على كل إحسان ومعروف وخدمة.

المدح والثناء

المدح والثناء هما أحد الأساليب التي يُعمل بها لتقدير جهود الآخرين وتشجيعهم، سواء في تربية الأبناء أو في المجال المهني أو الاجتماعي أو غيرها لما له من عظيم الأثر في تزويدهم بشحنة إيجابية وطاقة وحيوية، وبعث روح الأمل في أرواحهم لتحسين السلوك والأداء، وزيادة الإنتاجية والعطاء، وزيادة الثقة بالنفس والاعتماد عليها، ونمو الشخصية والعمل بحماس ورغبة.

ورد في كتاب الطفل بين الوراثة والتربية: "من الميول الفطرية عند الإنسان، والتي تظهر منذ أولى أدوار الطفولة وتظل تلازمه مدى العمر، الرغبة في المدح والثناء من قبل الآخرين. إن كل صغير وكبير يتوقع أن يلاقي استحسانًا ومديحًا من قبل الأصدقاء والزملاء في الانتصارات التي يحرزها في الحياة، والتقدم الذي يناله في كل مرحلة"[58].

لقد حث الله عز وجل في كتابه المجيد عباده على الشكر والثناء وأنه سيكافئ الشاكرين بزيادة النعم وتوعَّد الكافرين بالنعم بالعذاب الشديد حيث قال: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}**[59]. وكذلك هو حال الإنسان فإنه يأنس بسماع كلمة الشكر والثناء والمدح وينعكس ذلك على أدائه ونشاطه وعطائه وإخلاصه وتفانيه.

بالرغم من أهمية المدح والتحفيز إلا أن البعض يتحفظ في إظهار مدحه للآخرين ويمتنع، وذلك لأسباب سيتم التطرق لها لاحقًا، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالأعمال المستحبة والأعمال الاجتماعية التطوعية مما يكون له انعكاسات ونتائج سلبية. سيتم تسليط الضوء على خمسة محاور مع الاستدلال بالروايات الكثيرة التي تناولت الموضوع لترسم لنا منهجية واضحة:

- **تزكية النفس**
- **ذم مدح الآخرين**

- **الاغترار بالمدح**
- **كيف تمدح**
- **كيف تتعامل مع المدح**
- **تزكية النفس**

نهى الله جلّ وعلا الإنسان من أن يُزكي نفسه كما ورد في قوله: **{... فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}**[60]. وقال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}**[61].

وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: "من قال: إني خير الناس فهو من شر الناس، ومن قال: إني في الجنة فهو في النار"[62]. وقال الإمام علي عليه السلام: "أقبح الصدق ثناء الرجل على نفسه"[63]، وقال: "من مدح نفسه ذبحها"[64].

ولكننا نلاحظ البعض يتكلم عن نفسه ويمدحها في بعض المواقف فهل يندرج ذلك تحت هذا النهي عن تزكية النفس ويلزم الترك؟ سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الحكم الشرعي لمدح الإنسان نفسه؟ فأجاب: "نعم إذا اضطر إليه، أما سمعت قول يوسف **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}**، وقول العبد الصالح: **{... وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}**"[65].

وذكر البعض أن المدح المذموم هو ما كان للافتخار والعُجب وفيه إبراز للنفس وتميزها على الأقران ولكن لا مانع من ذلك إن كان فيه مصلحة دينية. ورد في كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: "لا شك في أن مدح الإنسان نفسه يعد من الأمور القبيحة، ولكن ليست هذه قاعدة عامة، بل قد تقتضي الأمور بأن يقوم الإنسان بعرض نفسه على المجتمع والإعلان عن خبراته وتجاربه، لكي يتعرف عليه الناس ويستفيدوا من خبراته ولا يبقى كنزًا مستورًا"[66].

ذم مدح الآخرين

كما ذكرنا أعلاه يترتب على مدح الآخرين وتحفيزهم فوائد وآثار جماء مثل الحيوية والنشاط وزيادة العطاء وغيره إلا أنه قد وردت أحاديث كثيرة تذم مدح الإنسان في وجهه، وتصفه بالذبح أو العقر، ولا بدّ من إيجاد ضابطة معينة تحكم ذلك لكي لا يترك المدح. قال رسول الله ﷺ: إياكم والمدح، فإنه الذبح[67]. وقال: لو مشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان خيرًا له من أن يثني عليه في وجهه[68]. وقال: إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه الموسى[69].

وقال الإمام علي عليه السلام لرجل مدح رجلًا في وجهه: عقرت الرجل عقرك الله[70]. وقال عليه السلام: إن مادحك لخادع لعقلك غاش لك في نفسك بكاذب الإطراء وزور الثناء، فإن حرمته نوالك أو منعته أفضالك وسمك بكل فضيحة ونسبك إلى كل قبيحة[71].

الأحاديث السابقة تذم مدح الشخص بماهو فيه، وقد وردت أحاديث تذم مدح الشخص بما ليس فيه وكذلك مدح الفاجر والفاسق. فمدح الشخص بما ليس فيه يعد نوعًا من الاستهزاء والسخرية ومدعاة للذم إن لم تحقق له أمنيته. قال رسول الله ﷺ: يا بن مسعود! إذا مدحك الناس فقالوا: إنك تصوم النهار وتقوم الليل وأنت على غير ذلك فلا تفرح بذلك، فإن الله تعالى يقول: **{لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[7372].

وقال الإمام علي عليه السلام: مادح الرجل بما ليس فيه مستهزئ به[74]. وقال عليه السلام مادحك بما ليس فيك مستهزئ بك، فإن لم تسعفه بنوالك بالغ في ذمك وهجائك[75]. وقال عليه السلام من أُثني عليه بما ليس فيه سُخر به[76]، وفي حديث آخر: من مدحك بما ليس فيك فهو ذم لك إن عقلت[77].

ومما ورد في ذم مدح الفاسق والفاجر والسلطان الجائر ما قاله رسول الله ﷺ: إن الله ليغضب إذا مُدح الفاسق[78]. وفي حديث آخر إذا مُدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب[79]. وقال: من مدح سلطانًا جائرًا وتخفف وتضعضع له طمعًا فيه كان قرينه إلى النار[80].

الاغترار بالمدح

وأحيانًا يتم مدح الشخص من قبل الآخرين بدون علمه أو عدم رغبته فإن كان كذلك فعليه أن لا يفرح كثيرًا إلى درجة يصيبه منها الغرور والعجب والزهو الذي يخرجه من الإخلاص لله إلى

السمعة والرياء، ويفتح له أبواب الشيطان. قال رسول الله ﷺ: حب الإطراء والثناء يعمي ويصم عن الدين، ويدع الديار بلاقع[81].

وقال الإمام علي عليه السلام: أجهل الناس المغتر بقول مادح متملق، يحسن له القبيح، ويبغض إليه النصيح[82]. وقال عليه السلام: الإطراء يحدث الزهو ويدني من الغرة[83]. وقال: حب الإطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان[84]. وقال الإمام الصادق عليه السلام لا تَغْتَرَّ بِقَوْلِ الْجَاهِلِ وَلَا بِمَدْحِهِ فَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَتُعْجَبَ بِعَمَلِكَ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ الْعِبَادَةُ وَالتَّوَاضُعُ[85].

كيف تمدح؟

وإذا كان ولا بدّ من مدح شخص مقابل ما يقوم به من إنجازات وخدمات اجتماعية جليلة على سبيل المثال فالرسالة المحمدية السمحاء لم تمنع من ذلك بل وردت روايات عديدة **ليكون ضمن ضوابط محكمة لتجنب التملق والإغراق والإفراط والكثرة في المدح الذي يسبب إحراجًا للشخص ويصيبه منه الغرور والعجب وقد يخرجه من إخلاص العمل لله عز وجل.**

قال الإمام علي عليه السلام: إذا مدحت فاختصر، إذا ذممت فاقتصر[86]. وقال عليه السلام أكبر الحمق الإغراق في المدح والذم[87]. وقال عليه السلام: كثرة الثناء ملق يحدث الزهو ويدني من العزة[88]. وقال: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد[89].

وروي أن رجلًا مدح رجلًا عند النبي ﷺ، فقال: ويحك! قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح، ثم قال: إن كان لا بدّ أحدكم مادحًا أخاه فليقل: أحب فلانًا ولا أزكي على الله أحدًا، حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك[90].

كيف تتعامل مع المدح

أحيانًا يكون الإنسان في موقف محرج يُمدح فيه ويُثنى عليه فكيف يتصرف؟ ذلك ما وجهنا إليه رسول الله ﷺ في قوله: إذا أُثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[91]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا يصير العبد عبدًا خالصًا لله تعالى حتى يصير المدح والذم عنده سواء، لأن الممدوح عند الله لا يصير مذمومًا بذمهم، وكذلك المذموم، ولا تفرح بمدح أحد فإنه لا يزيد في منزلتك عند الله، ولا يغنيك عن المحكوم لك والمقدور عليك، ولا تحزن أيضًا بذم أحد فإنه لا ينقص عنك ذرة[92].

عجيب وفاء هذا الكلب!!

أثناء زيارتي اليابان في عام 2011م استغربت من وجود مجسم لأحد الكلاب كأحد المعالم السياحية في طوكيو يزوره الكثير من السياح مما أثار فضولي للقراءة والبحث عنه لمعرفة السبب الذي جعله يستحق هذه المكانة عندهم. إنه الكلب (هاتشيكو) الذي عُرف برمز الوفاء في اليابان وانتشرت قصته وأصبحت المدارس تتخذه قدوة لتعليم الأبناء على الوفاء والإخلاص.

اعتاد هذا الكلب انتظار صاحبه يونو البروفسور في جامعة طوكيو كل يوم عند محطة القطار (شيبويا) بعد خروجه من العمل. ولكن في أحد الأيام توفي صاحبه في الجامعة وبقي الكلب ينتظره ويذهب كل يوم ينظر إلى بوابة المحطة لعله يطل عليه، ولكن طال انتظاره ليس لأيام وشهور بل ما يقارب العشر سنوات حتى أعياه المرض وتوفي في عام 1935.

انتظار عشر سنوات ليس أمرًا سهلًا ولكن الكلاب عُرفت بالوفاء والإخلاص وقد وردت قصص كثيرة تتحدث عن صور مختلفة من الوفاء لكل من أحسن إليها. وها هو الشاعر علي بن الجهم الذي قدم من بيئة صحراوية متأثرًا بها يمدح الخليفة المتوكل ويشبهه بالكلب قائلًا:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قرع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمناك دلوًا من كبار الدلا كثير الذنوب

قال الغزالي إن الوفاء هو: "الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه".

لن أقارن بين وفاء بني البشر مع وفاء الكلاب فذلك يتفاوت من شخص إلى آخر وأترك الأمر لكل شخص ليقيم نفسه في جميع الأدوار التي يشغلها في حال الصحة والسقم، والحياة

والممات، بين الابن ووالديه... بين الزوج وزوجه... بين الصديق وصديقه... بين المرؤوس ورئيسه، مع الوطن... إلخ.

البعض من البشر يتصف بالغدر والخيانة ونكران الجميل فينقلب رأسا على عقب وينسى العشرة وما قدمه له الطرف الآخر من حب وود وإيثار وتضحية وتنطمس كلمة الوفاء من قاموسه فيتخلى عنه بكل سهولة، وينفصل عنه عندما يكون في أمس الحاجة إليه. والبعض منهم تكون علاقته علاقة مصالح شخصية، والبعض يغتر بالدنيا وزينتها ويتغير بمجرد الحصول على سلطة أو جاه أو منصب أو ثروة.

وشريحة أخرى من البشر قد ضربت أعلى القيم فأصبحت نماذج مشرفة في الوفاء والإخلاص مع من أحسن إليها ليس مع صاحب الشأن فقط بل مع أحبابه وأصدقائه. فها هو سيد الأنبياء والمرسلين صاحب الخلق العظيم يكرم إحدى النساء وفاء لزوجته خديجة كما روى الطبراني.. أكرم سيدنا النبي ﷺ عجوزًا جاءت إليه، وقال: "إنها كانت تغشانا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان"[93].

ومن صور الوفاء أيضًا الوفاء للعظماء أصحاب الفضل الذين خدموا البشرية وتركوا بصمة في حياتهم وبعد رحيلهم وعلى رأسهم نبي هذه الأمة ﷺ الذي ضحى وتحمل الأذى لنشر الدين حتى قال الله تعالى في كتابه: **{... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ...}**[94]. لقد تحمل الكثير لإنقاذ البشرية من الجهل والضلال وإخراجها من الظلمات إلى النور ولم يطلب أجرًا مقابل ذلك. وأقل ما يمكن تقديمه له من الوفاء هو المحافظة على هذا الدين وتعاليمه والثبات على محبته ومحبة من يحب، ومحبة أهل بيته. قال الله جلّ وعلا: **{... قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...}**[95].

مقابلة الإساءة بالإحسان

قال الشاعر:

فَيَا عَجَبًا لمن رَبَّيْتُ طِفْلًا ألقَّمُهُ بأطْرَافِ الْبَنَانِ

أعلِّمهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يوَم فَلَمَّا اشتَدَّ[96] ساعِدُهُ رَمَاني

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوافي فَلَمَّا قَال قَافِيَةً هَجَاني

أعلِّمهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شارِبُهُ جَفَاني

الأمر الطبيعي أن لا ينكر الإنسان المعروف، ويحسن إلى من أحسن إليه وليس في ذلك فضل فكل من أسدى معروفًا يستحق أن يقابل بالمثل. قال تعالى: **{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}**[97]. فإن أحسن الإنسان فهو لنفسه وإن أساء فهو أيضًا لنفسه كما قال تعالى: **{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...}**[98].

إلا أن البعض يُنكر ويجحد المعروف والإحسان كما أشارت إليه الأبيات المذكورة أعلاه التي تُنسب إلى معن بن أوس الذي أحسن إلى ابن أخته ولكنه قابل الإحسان بالإساءة. كم يشعر الإنسان بالأسى في شتى المجالات عندما يُحسن إلى شخص قريب أو بعيد ويكون له ناصحًا ويبذل كل ما يملك من أجله ويسعى في خدمته وتعليمه وتدريبه وتوفير سبل الراحة له وإيثاره على نفسه، ويتفاجأ برد فعله السلبي تجاهه وقلة مروءته وإساءته إليه من غير مبرر، أو لمصلحة شخصية، أو لسوء فهم أو سوء ظن لم يبذل أقل جهد لحمله على الخير والتحقق منه قبل الإساءة.

والصنف الثالث أعلى مرتبة يَسْتَّر له الفؤاد عندما تجد شخصًا يُحسن ليس فقط لمن أحسن إليه بل يتعدى ذلك ويحسن إلى من أساء إليه واعتدى عليه. إنه من مكارم الأخلاق التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وشرف كبير، ومن يملك قلبًا يتوهج إيمانًا ملبيًا دعوة اللطيف الودود الرحيم بعباده حيث يقول: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**[99].

مقابلة الإساءة بالإحسان لها آثار وفوائد تنعكس على حياة الإنسان ومن أبرزها ما أشارت إليه الآية الكريمة بأنك عندما تُحسن إلى عدوك الذي أساء إليك فذلك الإحسان قد يؤثر عليه ويُشعره بالخجل، ويصبح كأنه ولي حميم. كما أن الإحسان قد يكون سببًا في إصلاح المسيئ، والتأثير فيه عمليًا لتغيير منهجه وفكره وسلوكه، كما أورد التاريخ من قصص كثيرة ذات عبرة وعظة، ومن أبرزها قصة هداية ذلك اليهودي الذي قابله النبي ﷺ بالإحسان وقام بزيارته والاطمئنان على صحته بالرغم من إساءته إليه. قال الإمام علي عليه السلام: "إن إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد، لأغيَظ عليهم من مواقع إساءتك منهم، وهو داع إلى صلاحهم"[100].

ومن آثار الإحسان كسب وامتلاك قلوب الناس ومحبتهم ومودتهم مما يجعل أفراد المجتمع أكثر ألفة وتلاحمًا وتماسكًا. قال رسول الله ﷺ: "جُبِلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها"[101]. وقال الإمام علي عليه السلام: "من كَثُر إحسانه أحبّه إخوانه"؛ وقال: "بالإحسان تملك القلوب"[102].

والإحسان إلى المسيئ هو من مكارم الأخلاق التي أشار إليها صاحب الخُلُق العظيم في قوله: "ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك"[103]. وتتجلّى مكارم الأخلاق في الدعاء المنسوب للإمام زين العابدين عليه السلام الذي يربينا على الإحسان في هذه العبارات العظيمة: "وَسَدِّدْنِي لأَنْ أعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ".

رسالة الحقوق.. والنصيحة

الإنسان ليس له غنى عن المجتمع ولا يستطيع أن يعيش مستقلًّا بحاله دون الحاجة للآخرين. ورد أن رجلًا قال بحضرة الإمام زين العابدين عليه السلام: اللهم أغنني عن خلقك فقال له الإمام: ليس هكذا إنما الناس بالناس، ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك[104]. ومن حاجات الإنسان لإخوانه أنه يقصدهم أحيانًا لطلب الاستشارة والنصيحة للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم في الحياة وقد اهتم بهذا الجانب الإمام السجاد عليه السلام وتطرق لحقوق المستشير والمشير والمستنصح والناصح في رسالة الحقوق التي أصدرها قبل أكثر من 1300 عام والتي شملت خمسين مادة أو حقًا في علاقة الإنسان مع ربه ومع نفسه والمجتمع. إنها رسالة عظيمة تستحق القراءة والتأمل في كلماتها وهي مختصرة في كلماتها قيمة بما ورد فيها من حقوق ولن تستغرق الوقت الكثير لقراءتها، وسنتناول في هذه الأسطر الحقوق المتعلقة بالنصيحة، فقد ورد فيها حق المستنصح وحق الناصح[105].

حق المستنصح

وأَمّا حَقّ الْمُسْتَنْصِحِ فَإِنّ حَقّهُ أَنْ تُؤَدّيَ إِلَيْهِ النّصِيحَةَ عَلَى الْحَقّ الّذِي تَرَى لَهُ أَنّهُ يَحْمِلُ وتَخْرُجَ الْمَخْرَجَ الّذِي يَلِينُ عَلَى مَسَامِعِهِ، وتُكَلّمَهُ مِنَ الْكَلَامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ فَإِنّ لِكُلّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الْكَلَامِ يَعْرِفُهُ ويَجْتَنِبُهُ ولْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرّحْمَةَ ولا قُوّةَ إِلّا بِاللهِ.

حق الناصح

وَأَمّا حَقّ النّاصِحِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ ثُمّ تَشْرَئِبّ لَهُ قَلْبَكَ وتَفْتَحَ لَهُ سَمْعَكَ حَتّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ ثُمّ تَنْظُرَ فِيهَا فَإِنْ كَانَ وُفّقَ فِيهَا لِلصّوَابِ حَمِدْتَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ وقَبِلْتَ مِنْهُ وعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ وإِنْ لَمْ يَكُنْ وُفّقَ لَهَا فِيهَا رَحِمْتَهُ ولَمْ تَتّهِمْهُ وعَلِمْتَ أَنّهُ لَمْ يَأْلُكَ نُصْحًا إِلّا أَنّهُ أَخْطَأَ إِلّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقًّا لِلتّهَمَةِ - فَلَا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلّ حَالٍ ولا قُوّةَ إِلّا بِاللهِ.

النصيحة يحتاجها كل إنسان أيًا كان دوره في الحياة، في المنزل والعمل ومع المجتمع بمختلف طبقاته. البعض قد يذهب ويطلب النصيحة من الآخرين مستفيدًا من خبراتهم وتجاربهم في الحياة وهنا قد بيّن الإمام السجاد عليه السلام حق المستنصح "أو المنصوح" فهو له حق النصيحة من إخوانه المؤمنين، وأن تُقدَّم له النصيحة باللين والرفق والرحمة، مع مراعاة الاختلاف في مستويات العقول والحديث معها بما تطيقه وتتحمله. والبعض الآخر يُكابر ولا يسعى لطلب النصيحة بل يحاول جاهدًا أن يصم أسماعه عن سماع أي نصيحة ويمتعض من كل من يقدم له النصيحة في الأمور الدينية والدنيوية ويعاديه وينفر منه وقد يسيئ إليه ويؤذيه. هذا السلوك ليس مختصًا بزمن معين وقد واجهه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الأنبياء مع قومهم فقد ورد على لسان النبي صالح عليه السلام في كتاب الله تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}[106].

في كل مجتمع لا يتوقع الناصح بأن يكون محبوبا من الجميع بل عليه أن يتوقع بأن نصيحته قد تخلق له أعداء وعليه أن يقيّم المصلحة العامة والفائدة من استمراره في تقديم النصيحة وتحمل العواقب أو التوقف سواء كانت النصيحة بشكل عام أو خاص.

منهجنا الإسلامي لم يغفل موضوع النصيحة وقد تم الحث والتأكيد عليها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه"[107]. وقال الإمام علي عليه السلام: "أشفق الناس عليك أعونهم لك على صلاح نفسك، وأنصحهم لك في دينك". وقال: "لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون الناصحين"[108].

وإن كان الإنسان يجد مرارة وصعوبة في تقبل النصيحة من الآخرين، ويشعر بعدم الارتياح النفسي إلا أن ذلك يكون لفترة وجيزة في بداية الأمر، ولا شك بأنه سيدرك المصلحة منها لاحقًا وسيقدر دور الناصح خصوصًا عندما يشعر بأمانته وإخلاصه وسمو أهدافه وعدم رغبته في المجاملة والغش. قال الإمام علي عليه السلام: "مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش". وقال الإمام الباقر عليه السلام: "اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش"[109].

ما هو المطلوب من الشخص المنصوح أو المستنصح، وكيف يتعامل مع الناصح الذي يقدم له النصيحة؟ هذا ما وضحه الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق بقوله أما حق الناصح بأن تلين له الجانب وتصغي إليه بقلبك وسمعك حتى تفهم نصيحته. وبعد ذلك تنظر في نصيحته وتُقيّمها فإن

رأيته وُفِّق فيها للصواب فاحمد الله وتَقبلها منه واشكره.. وإن لم يكن وُفِّق فيها وعلمت بأنه كان مجتهدًا ولم يكن مقصرًا فلست مجبرًا بالأخذ بنصيحته وعليك بأسلوب اللين والرفق والرحمة ولا تتهمه وتتعدى عليه وتشهِّر به.

لا شك بأنه من الإجحاف تحميل الشخص المنصوح كامل المسؤولية واللوم والعتاب في الفرار من الناصحين وعدم محبتهم وتقبل النصيحة منهم بل أنَّ الناصح يتحمل أحيانًا جزءًا كبيرًا من ذلك بسبب أسلوبه وسلوكه وقد يكون هو السبب الرئيس في عدم قبول نصيحته. وهذا ما سيتم تناوله تحت عنوان (لا يَكن نصحك منَفِّرًا..) مع التعرض لبعض الأساليب الناجعة لتوجيه النصيحة.

لا يَكن نصحك مُنَفِّرًا..

تقديم النصيحة ليس أمرًا سهلًا، ويعتمد على المواقف، ونوعية النصيحة، والناصح والمنصوح، ومدى العلاقة بينهما، وهل النصيحة عامة أو خاصة لشخص بعينه. ولكي لا يُلقَى باللوم على المنصوح فقط في عدم تقبل النصيحة يحتاج الناصح مراعاة بعض الأمور التي تساعده لأن تكون نصيحته أكثر تقبلًا. من أهم الأمور وضوح الهدف من النصيحة إن كانت خالصة لوجه الله تعالى وابتغاء الإصلاح والمصلحة العامة، ومنها مصلحة المنصوح أم أن الهدف هو مصلحة الناصح الشخصية وحب الذات، وإبراز المواهب والقدرات، ورغبة في التميز على الغير، والتسلط والزعامة والاستعلاء والشهرة. وقد ذكر رسول الله ﷺ أربع علامات للناصح حيث قال: "أما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد"[110].

وليكون الناصح مقبولًا يحتاج إلى التحلي باللين والرفق والتواضع، وأن تكون نصيحته بالحكمة والكلمة الطيبة مبتعدًا عن الشعور بالعظمة والكبرياء والغرور. وأن لا يكون همه كشف وتعرية الطرف الآخر وإظهار عيوبه وإحراجه والتشهير به وتأليب الرأي العام عليه، فكل إنسان له كرامته وعزة نفسه ولن يسمح لأي كان بإهانته والنيل منه وسيدافع مستميتًا للحفاظ على كرامته ويستحيل أن يتقبل أي نصيحة في هذه الحالة.

ومن الأمور المهمة إن كانت النصيحة لفئة من الناس أن تُطرح بدون التطرق للأسماء، وإن كانت خاصة لشخص بعينه فمن أكبر الأخطاء التي يتجاهلها البعض بأن تكون على الملأ فذلك يجعل المنصوح يشعر بالحرج والإساءة، وسيكون لديه رد فعل عكسي محاولًا رد اعتباره وكرامته، وسيزيد من عناده وعدم الخضوع والانصياع، بل سيبذل قصارى جهده ليثبت بأنه على صواب. لذلك من الواجب أن يتم توجيه النصيحة على انفراد سواء كان وجهًا لوجه أو على الخاص عبر

وسائل التواصل الاجتماعي. قال الإمام علي عليه السلام: "من وعظ أخاه سرًّا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه"[111]. وقال عليه السلام: "نصحك بين الملأ تقريع"[112].

وقال الإمام الشافعي (رحمه الله):

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي

وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَه

فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ

مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه

وَإِن خالَفتَني وَعَصيتَ قَولي

فَلا تَجزَع إِذا لَم تُعطَ طاعَه

كما ينبغي أن يكون الناصح أهلًا للنصيحة وقدوة للمنصوح بحيث لا ينصح بأمر وهو يخالفه، وأن يختار الوقت المناسب بحيث لا يكون المنصوح مشغولًا بأمور أخرى، ويراعي نفسيته ومدى تقبلها لقبول النصيحة فإن كان في حالة غضب وانفعال فمن الأفضل التريث لوقت يكون فيه أحسن حالًا للاستماع والتقبل.

ومن الحقوق والآداب التي يحتاج الناصح الالتزام بها العقلانية وعدم التهور وعدم المبالغة، والابتعاد عن الشخصنة، وعدم توجيه النصيحة بشكل مباشر بأسلوب الأمر والنهي والزجر بل لا بدّ من اختيار الأسلوب الأمثل كهيئة الاستفهام مثلًا (ماذا لو فعلت كذا وكذا؟)، أو طرح الإيجابيات والسلبيات لعدد من الخيارات وإتاحة مساحة للمنصوح للتقييم والاختيار فذلك يجعله يشعر بالراحة بأنه صاحب القرار والاختيار وغير مفروض عليه فرضًا. وأحيانًا يكون أسلوب التطبيق العملي وتمثيل دور القدوة أمام المنصوح أبلغ وأفضل من ألف كلمة ويكون له تأثير إيجابي كبير في تغيير بعض السلوكيات. فقد تكون مع ابنك ويواجهك موقف ما وترغب في توجيه نصيحة لابنك للقيام بإجراء معين فيمكنك القيام به أنت شخصيًا وهو ينظر إليك بدون أن تتكلم فهنا تكون قد وجَّهت له ما

تريد بشكل أقوى وبدون أي إحراج، وعندما يمر بذلك الموقف مرة أخرى لن ينسى تصرفك وسيحذو حذوك. وما أجمل الأسلوب الذي اتبعه الإمام الحسن والإمام الحسين عندما شاهدا رجلًا كبيرًا لا يحسن وضوءه، فطلبا منه أن يحكم بينهما لمعرفة أيهما وضوؤه صحيح. فلما توضأ كل منهما قال كلاكما تحسنان الوضوء وأنا الذي لا أحسن الوضوء وقد تعلمتُ منكما.

ومن الأساليب التلميح بدون تصريح أو توجيه الخطاب إلى شخص آخر معروف بتقبله للنصيحة والقصد منها شخص آخر. تقول إحدى الأمهات عانيت كثيرًا وكدت أخسر ابني في مرحلة المراهقة لعدم تقبله أي نصيحة وانقطعت خيوط التواصل معه. فما كان منها إلا أن انتهجت أسلوبا آخر وأخذت تحكي قصصًا لابنها الصغير تناسب الابن المراهق عن الأخلاق الحسنة والتعامل مع الناس وكل ما يحتاجه من دون أن تشعره بأن الحديث موجّه إليه. تقول في بداية الأمر كان يغادر المكان لكي لا يسمع وبعد فترة صار يجلس ويستمع ولكنه يتظاهر بأنه مشغول بأشياء أخرى. استمرت على ذلك لفترة طويلة ولكنها لاحظت التغيير الإيجابي على سلوكه. وبعد عشر سنوات اعترف الابن الأكبر لأمه بالتأثير الكبير لتلك القصص على نفسه ومن شدة تأثيرها كان أحيانًا يذهب إلى غرفته ويبكي عندما تضع يدها على الجرح.

الناصح لن يسلم من النقد ولن يكون الطريق معبدًا أمامه ومفروشًا بأجمل أنواع الورود التي يفوح منها أزكى الروائح بل لا بدّ من وجود الشوك المؤذي والعقبات والتحديات التي يهون أمرها إذا كانت النصيحة في الله وخالصة لوجهه الكريم. وعلى الناصح أن يوازن الأمور ويقيِّم المصلحة من نصيحته، ويتحلى بالصبر والحلم وكظم الغيظ والحكمة لأنه قد يتعرض للإهانة والتهكم والسخرية وقد يكون منبوذًا من قبل البعض.

لا شيء يستحق أن تخسر كرامتك

يبطر البعض ويعيش حالة من الغرور والغطرسة عندما ينعم الله عليه بمنصب أو سلطة أو جاه أو ثروة، ما يجعله يظن بأنه قد حاز مرتبة عظيمة من الفضل والكرامة تميزه على غيره، متناسيًا المعيار الإلهي الحقيقي ووسام الشرف الذي يميزه **{... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...}**[113]. مشية الخيلاء واحتقار الآخرين والنظرة من الأعلى والعطاء سمعة ورياء وإتباعه بالمن والأذى وانتهاك الكرامة، أمور تنسف كل ما كسبه.

عندما كان ذلك الفقير في أمس الحاجة توجه إلى المسجد وصلى ركعتين ودعى الله ليفرج كربته، فما انفتل من صلاته إلا وذاك الغني بجانبه يقدم له المساعدة. وقبل أن ينصرف وضع يده في جيبه وأخرج الكرت الذي يحمل اسمه وأرقام الاتصال به، وسلمه للمحتاج ليتصل به كلما كان في ضائقة، فما كان منه إلا أن تقدَّم له بالشكر، وأعاد كرته إليه قائلًا: إنني أعرف بمن أتصل في وقت الشدة. يا لها من كلمات قوية لمن تربطه علاقة قوية بالله عز وجل.

أو ذاك الذي تربع على منصب يرفع ويعز من يشاء ويضع ويذل من يشاء، ويُخشى أن يقول ما قاله فرعون، من غير تورع ولا مراعاة للمعايير التي من شأنها أن تضمن لكل شخص حقه وكرامته بكل أمانة ونزاهة.

أو ذاك الذي خلع ثوب التواضع واحترام الآخرين لوجاهة نالها عند الناس متجاهلًا تلك الكلمات الجميلة التربوية من الإمام السجاد عليه السلام: "ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزًا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلَّة باطنة عند نفسي بقدرها"[114].

لقد كرم الله الإنسان وأعزه كما قال في كتابه المجيد **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...}** وحذره من أن يذل نفسه ويسترخصها ويهينها ويحتقرها لطلب الحوائج من المخلوق أو أن يسمح لغيره للقيام بذلك فالله جلّ وعلا تكفل برزقه وأمره بالسعي والعمل والتوكل عليه والثقة به. قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ**

لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[115]، وضمن له رزقه **{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}**[116].

كرامتك ثمينة ونفيسة فصنها واحرص على أن تصون كرامة الآخرين لتنال حبهم وتقديرهم، فعيش المرء بلا كرامة كمن فارق الحياة قبل سنين. المتفضل بالنعم على المخلوق قادر على أن يسلبها منه وليس بعاجز أن يتفضل بها على غيره وما ذلك إلا ابتلاء منه جلّ وعلا ليرى أيشكر فيزيده، أم يكفر فيسلبها منه أو يمهله ليزداد إثمًا ويستحق أشد العذاب.

التفاؤل وحسن الظن بالله

لا تخلو حياة كل إنسان من المشاكل والابتلاءات والتحديات التي لا ينبغي أن تسيطر على حياته، وتجعله يعيش حالة من الاضطراب والانتكاسة والعزلة والتعاسة والكآبة، ويتصور بأنها نهاية الطريق فتُعطل كل طاقاته وإمكاناته، ويقف مستسلمًا فاقدًا الأمل فيما يحقق له الخير والسعادة والنجاح والصحة، وكل ما يصبو إليه من أمنيات.

ربما يردد البعض منا الحديث المروي عن النبي الأكرم ﷺ: "تفاءلوا بالخير تجدوه" ولكن لا يقف عنده بتمعن وتدبر بالرغم من أنه لا يزيد على ثلاث كلمات. ففي الحديث ترسم لنا المنهجية المحمدية - التي لا تنطق عن الهوى - كيف نتعامل مع ما يصيبنا بالتفاؤل وأننا عندما نتفاءل بالخير سنحصل عليه. وذلك أمر نفسي عندما تشغل تفكيرك واهتمامك وتتفاءل بالسعادة ستجدها، وعندما تتفاءل بالنجاح فإنك ستحصل عليه، والعكس صحيح عندما تتشاءم وتفكر في الفشل والمرض والفقر فإنك تحصل عليها وذلك بسبب تسخير كل تفكيرك وطاقاتك تجاهها.

وما أعظم الحديث القدسي الذي يقول: "أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًّا"[117].

فلنتدبر في كلماته ونسأل أنفسنا كيف هو ظننا بالله عز وجل؟ فإن كان خيرًا سننال الخير، وإن كان شرًّا سننال الشر. فكيف نظن بالله الشر ونعيش متشائمين وهو الجواد الكريم الرحيم اللطيف الودود المتحنِّن على عياله؟

ويا له من قسم عظيم من رسول الله ﷺ بأن الله يستحي أن يُحسن العبد الظن به فيخلف ظنه ورجاءه. قال رسول الله ﷺ: "والذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه"[118].

واقعًا من كان ارتباطه بالله عز وجل قويًا، مؤمنًا وواثقًا ومحسنًا الظن به فإنه يعيش حالة من الاستقرار والطمأنينة عند سماع أو قراءة هذه الروايات التي لا تترك له مجالا لنفوذ الشيطان ليفتح له أبواب اليأس والتشاؤم.

ومن هو غارق في التشاؤم والنظرة السوداوية عليه أن يغير من نظام حياته ليحسن الظن بالله عز وجل، والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، والثقة بقضائه وقدره، والتحلي بالصبر، والإكثار من الشكر والثناء فبالشكر تزيد النعم. وعليه أن يتخلص من الأشياء السلبية التي تعكر مزاجه فلا يفتتح بها يومه وإن استطاع أن يتركها طوال اليوم بل إلى الأبد فهو الأفضل، وأن يتجنب مرافقة السلبيين والمتشائمين، وأن يترك المقارنة مع الآخرين، وأن يكون مبتسمًا، بشوش الوجه، متحليًا بالنظرة الإيجابية المتفائلة.

يقول أستاذ علم النفس الدكتور "مارتن سيليجمان" مؤسس علم النفس الإيجابي، وقد ألف أكثر من كتاب عن التفاؤل: "إن تكوين الأسلوب التفسيري للأحداث، حسبما صار مؤكدًا في علم النفس، يتم في مرحلة الطفولة، ومن ثم يتطور التشاؤم أو التفاؤل حيث يصبح عادة راسخة للتفكير". ولذلك ينبغي مراقبة الطفل في مراحل الطفولة وعدم السماح بأن يتسلل التشاؤم إلى نفسه.

ولا شك بأننا بأمس الحاجة إلى حسن الظن بالله والرجاء والتفاؤل لكشف هذا الوباء الذي يعيشه العالم (كوفيد - 19) والذي كان له أثر نفسي على البعض بسبب الحجر والعزل وما يسمعه من وسائل الإعلام المشبعة بالشحنات السلبية. فالأمر بيد الله عز وجل وهو القادر على كل شيء **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}**[119].

فاصبر صبرًا جميلًا

يتعرض الإنسان للكثير من المواقف التي تتطلب الصبر في جميع شؤون حياته وذلك في علاقته مع الله عز وجل من حيث البلاء والطاعة والمعصية، وعلاقته مع المجتمع التي لا تخلو من النصَب والمشقة والمكابدة والعناء، وتحتاج إلى الصبر والتحكم في انفعالاته. قال تعالى: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}**[120].

قال الإمام علي عليه السلام في الصبر: "الصبر أن يحتمل الرجل ما ينوبه، ويكظم ما يغضبه"[121]. وقسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر إلى ثلاثة أنواع: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية[122].

جميع الطاعات من صلاة وصيام وحج وغيره لا يمكن للإنسان أن يؤديها إذا فقد الصبر، كما هو الحال مع المعاصي إذا لم يتحلَّ بالصبر فإنه يكون فريسة سهلة للوقوع في شراك الشيطان الرجيم، والوقوع في المعاصي والشهوات، ويخسر الدنيا والآخرة.

أما الصبر عند المصيبة فهو أعلى درجة وكل إنسان معرض لشتّى أنواع البلاء الذي يتفاوت من شخص إلى آخر حسب منزلته عند الله. قال تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ}**[123]. وقال تعالى: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**[124].

لقد ارتبط الصبر بالإيمان وورد بأن الصبر رأس الإيمان، وأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فعندما يُفقد الرأس يُصبح الجسد لا خير فيه ولا قيمة له، وكذلك عندما يُفقد

الصبر، يكون إيمان الشخص لا خير فيه. قال الإمام علي عليه السلام: "وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه"[125].

ولكي يحافظ الإنسان على إيمانه ولا يُفسده مع كل حدث وموقف عليه أن يتحلى بالصبر ويستعين به وبالصلاة لكل ما يواجهه من بلاء ونوائب وتحديات الدهر. كما أمرنا الله عز وجل الذي لا يتخلى عن عباده الصابرين، بأن يكون معهم ويتلطف بهم بإعانتهم وتخفيف آلامهم. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[126].

كما نهانا الله عن الجزع والشكوى إلى الناس وأمرنا بالصبر الجميل **{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً}**[127]. قال الإمام الباقر عليه السلام - لما سئل عن الصبر الجميل: "ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس"[128].

وقد بشر الله الصابرين خيرًا وأنه جلّ وعلا يوفيهم أجرهم بغير حساب. قال تعالى: **{... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**[129]. ورد في تفسير الميزان للطباطبائي أن "المعنى لا يُعطى الصابرون أجرهم إلا إعطاء بغير حساب، فالصابرون لا يُحاسبون على أعمالهم ولا يُنشر لهم ديوان ولا يُقدر أجرهم بزنة عملهم"[130].

إننا بين يدي كريم جواد، رؤوف رحيم بعباده، لا نملك إلا التسليم بقضائه وقدره ونثق بحكمته وتدبيره، وعلينا أن نُكثر من الحمد والشكر له، والإلحاح في الدعاء والصدقة والتوسل بأهل بيت الرحمة، والاسترجاع عند المصيبة ليقع أجرنا على الله ولا نكون من الخاسرين. قال الإمام الباقر عليه السلام: "من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله أجره"[131].

نسأل الله أن يُفرغ علينا صبرًا جميلًا يليق بإيماننا، ولا تشوبه الشكوى إلى الناس **{... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}**[132].

الفصل الثاني
أخلاق تُنفر الأحبَّة

ولو كنتَ فظًّا غليظ القلب

آية في كتاب الله تعالى جسَّدت قاعدة قيادية تُدرس عبر العصور في فن الإدارة والقيادة في جميع المجالات المهنية والاجتماعية والأسرية. لقد قاسى رسول الله ﷺ وتعرض للأذى وسوء الخلق حتى قال: "ما أوذي نبي مثلما أوذيت"[133]. ولكنه لم يستسلم ولم يدعُ عليهم بل كان رحيمًا بهم، وتحلّى باللين وحسن الخلق وسعة الصدر ليكسب قلوب الناس ويستنقذهم من الظلمات إلى النور.

قال الله تعالى فيه: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}**[134]. لو كان فظًا قاسيًا غليظ القلب عليهم في تعاملاته ودعوته لانفضوا ونفروا من بين يديه ولكنه كان يعفو ويصفح عن أخطائهم وتصرفاتهم ويداريهم، ويدعوا الله ليغفر لهم وقد اهتدى الكثير للإسلام بسبب أخلاقه الكريمة، فكيف لا يكون كذلك وقد امتدحه الله جلّ وعلا بالخُلُق العظيم في قوله: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[135].

لقد كان رسول الله ﷺ مألوفًا بحسن خلقه فجذب الناس إليه وألفوه، وكان يؤكد عليهم بالتحلي بحسن الخلق فيما بينهم فقد قال: "أفاضلكم أحسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا الذين يَألفون ويُؤلفون"[136]. وقال الإمام علي عليه السلام: "المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف"[137].

ومن سماته القيادية أنه كان يمزج بين مختلف الأنماط القيادية حسب المواقف فتراه تارة يتصف بالديمقراطية والمشاورة وعدم التهميش لمن حوله والاستبداد برأيه الشخصي كما ورد في الآية **{... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...}**؛ وتارة أخرى يتسم بالحزم والإقدام والتوكل على الله عز وجل حسب ما تقتضيه المصلحة العامة في اتخاذ القرارات المناسبة. هذه الآية الكريمة ترسم منهجية واضحة للتعامل ليس في المجال المهني فقط بل يمكن تطبيقها والاقتداء بأسوتنا الحسنة في شتى

المجالات الاجتماعية والأسرية مع الأزواج والأبناء لما تتضمن من مفاهيم تخلق أجواء من الألفة والمحبة وتكسب القلوب وتجلب السعادة.

كسر القلوب وتنافرها

وَاحْرَصْ على حِفْظِ القُلُوْبِ مِنَ
الأَذَى

فرجوعها بعد التنافر يصعب

إنّ القُلوبَ إذا تنافر ودُّها

شبْهُ الزُجَاجَةِ كسْرُها لا يُشْعَبُ

لا تخل أي علاقة مهما كانت وفي أي مكان من الاختلاف في وجهات النظر والفكر والمعتقدات، وذلك أمر طبيعي لاختلاف الثقافات والقناعات. في كل يوم يمر الإنسان بمختلف المواقف التي يختلف فيها مع من حوله وذلك يُعد أمرًا صحيًا مع شرط الالتزام بالاحترام والتقدير، وحفظ اللسان من المساس بالمشاعر، وكسر القلوب بالكلمات الجارحة المؤذية، فرب كلمة قالت لصاحبها دعني بسبب الأذى الذي تحمله بين طياتها والمشاكل التي تخلقها والخلافات والفتن التي تؤججها. قال الله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}**[138]. وقال رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده"[139]. وفي الجهة المقابلة رب كلمة واحدة يمكن أن يكون لها أثر إيجابي بأن تحفز قلبًا وتدخل عليه الأمل والسرور، وتجعله ينبض بالمحبة والحيوية والنشاط.

البيتان أعلاه للإمام علي عليه السلام مدرسة في الأخلاق وكيفية التعامل مع الآخرين ومداراة مشاعرهم للحفاظ على ود القلوب وتجنب تنافرها. بعض الخلافات يمكن معالجتها بسهولة وبحكمة قبل أن تتأزم وذلك بتفهم الأطراف المختلفة وحكمتهم والمبادرة بالاعتذار من قبل المخطئ،

والتسامح والعفو والصفح من الطرف الآخر، أو الاعتذار منهما معًا إذا ما كان الخطأ مشتركًا. إلا أن بعض الخلافات قد تصدر منها كلمات جارحة مؤذية للقلب وتُترك لأيام حتى تأخذ مأخذها، ويبدأ التنافر بين القلوب وحينها يصبح الأمر أكثر صعوبة وتأزمًا لرجوعها، وكلما تركت لمدة أطول تنافرت أكثر، وربما تصل عند البعض إلى درجة الحقد والغل والعياذ بالله، وقد شُبهت القلوب بالزجاج الذي لا يجبر بعد الكسر.

حثنا ديننا الحنيف على ثقافة الاعتذار لما فيه من مصلحة في المحافظة على العلاقات الأسرية والاجتماعية وغيرها. فالإنسان غير معصوم ويصدر منه الخطأ سواء كان إراديًا أو لاإراديًا ولكن مطلوب منه المبادرة بالاعتذار ممن أخطأ عليه بلا مكابرة وعناد وإصرار على الخطأ. كما أن الطرف الآخر مطلوب منه العفو والصفح والتسامح بلا مكابرة أو غرور أو إلحاق ذل أو إهانة وانكسار للطرف المخطئ لما له من الأجر والثواب عند الله عز وجل. قال تعالى: **{... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...}**[140]، وقال تعالى: **{... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ...}**[141].

ومنهم من يتعالى ويتصور بأن العفو والصفح والتسامح هو ضعف وذل وهذه نظرة خاطئة بل في العفو العزة والرفعة وسمو الخلق كما ورد عن رسول الله ﷺ: "عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا، فتعافوا يعزكم الله"[142].

لو تكاشفتم ما تدافنتم

عجبًا لمن ينزه نفسه ويزكيها ويجعلها فوق برج عالٍ ويحيطها بهالة من القداسة والكمال والعصمة، ويسلط منظاره السلبي على الآخرين يفتش عن أخطائهم ويتتبع عوراتهم وزلاتهم، ولا يتورع بأن يكونوا فاكهة مجلسه، ويستمتع بفضحهم وغيبتهم وبهتانهم.

من منا نال مرتبة الكمال والعصمة وأصبحت صحائفه بيضاء ناصعة بلا خطأ ولا ذنب لكي ينسى نفسه ويبدأ في كشف عورات الآخرين بما فيهم وما ليس فيهم، بمجرد تخمين وسوء ظن أو كلمة وردت إلى مسامعه من فاسد ولم يتحقق منها. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}**[143]. وقال الإمام علي عليه السلام: "ألا إنه ما بين الحق والباطل إلا أربع أصابع، وجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه"، ثم قال: "الباطل أن تقول: سمعت، والحق أن تقول: رأيت"[144]. فإن لم نكن قد بلغنا هذه المرتبة ولن نبلغها، فما لنا وعورات الآخرين وقد ستر الله عليهم وأمرنا الله بالستر. هب أن الإنسان قد أذنب وأخطأ وزلت قدمه فالله لا يخفى عليه ذلك بل يمنحه الفرصة تلو الفرصة بعد كل ذنب ليتوب ويعتذر فيعفو ويصفح عنه وكأنه لم يذنب.

ما يضيرنا لو سترنا على إخواننا ما انكشف لنا من عوراتهم فلعلها كانت زلة أو هفوة تولى هو أمرها مع من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ ألا نحب أن يستر الله علينا في الدنيا والآخرة؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: "من ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة"[145].

وكيف سيكون الوضع لو انتهج كل منا هذه المنهجية ليكشف المستور وينشره على الملأ، وينكشف ما تكنه القلوب من الأمراض المستورة مثل الغل والحقد والحسد تجاه الآخر؟ حتما ستكون النتيجة سلبية وآثارها وخيمة كما قال الإمام علي عليه السلام: "لو تكاشفتم ما تدافنتم"[146]. حينها لن تجد

أحدًا بريئًا منزهًا من العيوب والمعاصي وسينفر كل شخص من الآخر ويعزف حتى عن دفنه بعد موته. وذلك ما يجعلنا نردد في الصلاة على الميت "اللهم إنا لا نعلم من ظاهره إلا خيرًا، وأنت أعلم بسريرته منا، اللهم إن كان محسنًا فزد اللهم في حسناته وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته".

وما أعظم ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة العظيم: "يا من سترني من الآباء والأمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني إذا ما أنظروني، ولرفضوني وقطعوني".

أعاننا الله على أنفسنا لنضع ما اقترفنا بين أيدينا، ونصب أعيننا قبل أن نفكر بتشريح غيرنا والتنقيب عن أخطائهم وعيوبهم والنيل منهم، فلنا ولهم إله يتولى أمرنا.

الاشتغال بعيوب الناس

يهتم البعض ويستمتع بتتبع عورات الناس وعيوبهم، وكشفها وإن كانت مستورة عن الآخرين، والله عز وجل يدعو للستر على عباده وعدم الاشتغال بعوراتهم والخوض فيها. فمن تتبع عورات الناس فلا يأمنَنّ تتبع عوراته وفضحها، طال الزمان أو قصُر. قال رسول الله ﷺ: "لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته"[147].

بدلًا من النظرة السلبية والتركيز على مثالب الآخرين وعيوبهم وأخطائهم، ما يضير الإنسان مع انطلاقة العام الجديد لو جعل له هدفًا لتغيير سلوكه بأن يكون أكثر إيجابية، ويوجه المجهر إلى عيوبه بدلًا من عيوب غيره، ويركز على ذكر محاسنهم وإبرازها لكسب حبهم وتجنب خلق جو من العداوة والشحناء، أو أقلها الالتزام بالصمت إن لم يتمكن من إبراز الجانب الإيجابي. فما أجمل وأروع ما ورد في الأخبار عن نبي الله عيسى عليه السلام عندما مروا على جيفة كلب وقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال: ما أشد بياض أسنانه! كان ذلك مع كلب جيفة ولكنه التفت إلى بياض أسنانه بنظرة إيجابية ليكون درسًا عمليًا، ولم يعتن برائحته الكريهة، فما بالنا بحرمة المؤمن عند الله عز وجل[148].

هي ليست مفخرة ولا شجاعة بأن نُشرح أجساد الآخرين وننهش فيها كما يحلو لنا، ونتتبع عوراتهم وننشرها بدون تورع، فكل إنسان لا يخلو من العيوب وإن تميز في جانب فلا تخلو جوانب عدة من النقص والعيب. ومن يراجع نفسه ويتأمل في عيوبه التي سترها الله عليه ويشتغل بها لَتَرك الخوض في عيوب الآخرين، ولترك العجب بنفسه والغرور والتفاخر على غيره لأنه لن يسلم من كشف عيوبه، فالناس لهم ألسن ولهم أعين لن يتركوه في سبيله في أمن وأمان. كما قال الإمام الشافعي (رحمه الله):

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معايبًا

فدعها وقل يا عين للناس أعين

ومن خاض في هذا المجال فإنه يخسر المحبة والمودة ويكون منبوذًا في المجتمع إلا مع شاكلته وزمرته التي تستمع إليه وتشجعه على المضي قُدُما على منهجه. قال الإمام علي عليه السلام: "من تتبع خفيات العيوب حرمه الله مودات القلوب"[149]. ومع الأسف منهم من يقلب المحاسن ويُشهر ويُروج لها على أنها معايب ومساوئ مع زمرته التي تؤازره وتؤيده وتأنس بما يقدمه لها.

وإن التزم كل شخص من هذه الزمرة وحفظ لسانه عن ذكر معايب غيره فذلك لا يكفي بل عليه أن لا يصاحب من لديه هذه الخصلة الذميمة لكي لا يُحسب عليه؛ كما لا يُستبعد بأن يكون له نصيب في ذكر معايبه في يوم ما. قال الإمام علي عليه السلام: "ليكن أبغض الناس إليك، وأبعدهم منك، أطلبهم لمعايب الناس"[150].

وإياك أن تفرح بسقطات الآخرين وأخطائهم وتغتنمها فرصة للتصيد عليهم وفضحهم والتشهير بهم لأنك لن تكون في مأمن، فمن عيّر بشيء ابتُلي به، ومن شمت من مصيبة ابتُلي بها. قال الإمام علي عليه السلام: "لا تفرحنّ بسقطة غيرك، فإنك لا تدري ما يحدث بك الزمان"[151]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: "لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيّرها بك، وقال: من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن"[152]. ومن كان حريصًا على مصلحة غيره ويهمه شأنه يمكنه تقديم الموعظة والنصيحة له بأدب واحترام وأسلوب وأن تكون سرًّا بعيدًا عن التشهير أمام الملأ للحفاظ على كرامته كما مرّ سابقًا. قال الإمام علي عليه السلام: "من وعظ أخاه سرًّا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه"[153].

هنيئًا لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وستر عيوبهم ليستر الله عيوبه في الدنيا والآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس"[154]..."من ستر على مسلم ستره الله

في الدنيا والآخرة"[155].

انتهاك القيم

الرؤية الواضحة والرسالة المحددة والقيم العالية عناصر مهمة لا يستغني عنها أي شخص يطمح إلى النجاح والتميز، وكذلك الحال بالنسبة للشركات ومنظمات العمل الرائدة. ولأهميتها يُخصص لها الوقت الكافي لكتابتها بعناية وتمعّن وأحيانًا بواسطة متخصصين لكي تكون خارطة العمل واضحة توجِّه جهود الإدارات والعاملين لتحقيق أهداف واستراتيجيات المنظمة. كما تحرص المنظمات على أن تكون هذه العناصر واقعية وعقلانية ومحددة وغير مستحيلة، وتقوم بالمشاركة بها مع الطاقم الإداري وجميع العاملين لضمان الالتزام والتمسك بها والعمل بنهجها.

ربما يوجد عدد كبير من منظمات العمل التي تفتقد هذه العناصر المهمة أو بعضها، والبعض منها قد تكون موجودة لديها لكنها داخل الخزانة وفي الأدراج لا يعلم بها أي من الموظفين. وأحيانًا تكون موجودة وجميع الموظفين على اطلاع عليها، بل ويحفظونها عن ظهر قلب ولكنها بعيدة عن التطبيق الفعلي والواقع العملي ما يجعل ثقة الموظفين تتزعزع ولا يعيرونها أي اهتمام. وأحيانًا يطلب من سائر الموظفين التقيد بها ولكن عندما يصل الأمر إلى القيادات العليا في المنظمات التي ينبغي أن تكون أسوة وقدوة يُحتذى بها، تكون هناك التجاوزات التي لا تتوافق مع القيم المتفق عليها. حينها كيف نضمن أو نطلب من سائر صغار الموظفين التقيد بهذه القيم!! فعلى سبيل المثال عندما تتبنى إحدى المنظمات قيمًا مثل الإخلاص، والأمانة، والعدل، والتميز، والمسؤولية، والاهتمام بالموظفين، والاهتمام بالعملاء، والشفافية فعلى الطاقم الإداري أن يتحمل المسؤولية الكبرى ليكون خير قدوة ومثلًا يُحتذى به في كل القيم وليس واحدة دون الأخرى، لأنها أحيانًا تكون مرتبطة بعضها مع بعض. فلو تجاوز القائد في العدل بين الموظفين بناءً على رغباته وميوله ومعاييره الخاصة التي لا تتوافق مع القيم، وليس حسب المعايير والضوابط التي تضمن للجميع حقوقهم بكل أمانة ونزاهة، سيكون لذلك الأثر السلبي على باقي الموظفين، وينعكس على القيم الأخرى من حيث إخلاصهم وتعاونهم، وجودة العمل وكميته وتحمل المسؤولية والاهتمام بالعملاء.

وكذلك الحال مع سائر القيم عندما يكون القائد خائنًا للأمانة بلا أخلاق تردعه، سيسود من خلفه الفساد ويحذو حذوه كل من ليس له قيم وأخلاق متأصلة تردعه أن يقع في نفس الخطأ والانجرار إلى ما لا يُحمد عقباه، ويتفشى الفساد الإداري الذي قد يستعصي استئصاله. وعندما تتكرر مثل هذه التصرفات والسلوكيات غير المسؤولة، ممن يعتد بهم ويعول عليهم في احتضان وتبني القيم، سيفقد الموظفون الثقة بها، ولن يكون لها أي وزن واعتبار وقيمة، بل ستكون فقط مجرد عبارات وشعارات صماء تُرفع ويتغنَّى بها القادة في كل محفل ويُتفاخر بها أمام المنظمات الأخرى.

الظلم والمحسوبية

"مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقّة، وتقتله الشّرقة، وتنتنه العرقة"[156]. عبارات رائعة للإمام علي عليه السلام تصف مسكنة ابن آدم، وتبين مدى ضعفه وقلة حيلته، وكيف يتألم من أضعف الحيوانات، ويموت بأتفه الأسباب بشرقة ماء بغتة، لا يعلم أجله، وكيف تكون رائحته نتنة بسبب قطرات من العرق.

ويا عجبًا ممن يتقلد منصبًا قياديًا أو إداريًا وينسى نفسه ويتصرف بغطرسة وتكبر ويتباهى ويتمادى في الظلم والعدوان في غفلة لما قد يؤول إليه مصيره في الدنيا قبل الآخرة. ففي شرق الأرض وغربها يتغنى بعض القادة بالنزاهة والعدل والإنصاف ولكن العدل لا يحتاج إلى من يثبته لنفسه بالكلام بل يتجسد جليًا في سلوكه وتصرفاته العملية على أرض الواقع.

فمنهم من يحمل شعار العدل والإنصاف ويحذر من مغبة الظلم بينما يخلع ثوب العدل في تعامله مع من يخضع تحت إدارته وسلطته، فعندما يقيّم أداءهم يحمل في باطنه معايير واعتبارات خاصة لا تعتمد أحيانًا على أداء الشخص ومهارته وكفاءته وإنجازاته بل على المحسوبية ومن يكون الشخص، وقد يصبح الأمر من المسلمات بعدم المساس بتقييم بعض الأفراد على مدى سنوات حتى مع وجود من هم أكفأ وأحق منهم. وفي مجال الترقيات ليس الوضع بأحسن حالًا فمنهم من يحصل على الترقية تلو الترقية خلال فترة زمنية وجيزة ومنهم من يمكث أضعاف المدة أو أكثر للحصول على ترقية.

وفي المناصب لا تنفع الخبرة والكفاءة والمهارة، فقد يُحال شخص لمهمة خاصة أو يُرسل في انتداب تحت شعار التطوير والتدريب والواقع شيء آخر هو من أجل التخلص منه أو إحالته للتقاعد المبكر وهو على رأس العمل وتنصيب غيره مكانه. وليس الظلم مقتصرًا على مجال معين دون غيره بل وردت قصص كثيرة مؤثرة في شتى أمور الحياة لا يسع المقام لسردها، تبين الآثار

السلبية والعواقب الوخيمة للظلم الذي يقع على الأبناء والوالدين والأزواج والموظفين والإخوان والخدم وبين أفراد المجتمع، وكيف أن العقوبة كانت تقع في الدنيا قبل الآخرة.

فكم من ظالم فقد حياته ومنهم من أُصيب بمرض لا يُرجى بُرؤه وأصبح جليس الدار، ومنهم من فُجع في أهله وولده، ومنهم من خسر ماله. وإن لم يصبه شيء في الدنيا فلا يسعد كثيرًا فالله تعالى يُمهل ولا يُهمل وهو بالمرصاد لكل ظالم فقد توعد في محكم كتابه المجيد بقوله: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}**[157].

أجارنا الله وإياكم من الظلم ومن دعوة المظلوم التي حذرنا منها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ في حديثه: "إياكم ودعوة المظلوم فإنها تُرفع فوق السحاب حتى ينظر الله عز وجل إليها فيقول: ارفعوها حتى أستجيب له"[158].

وقال الإمام علي عليه السلام:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا

فالظلم آخره يأتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

الغضب مفتاح كل شر

مع نهاية اليوم خرج من مكتب رئيسه متأثرًا غاضبًا بسبب عدم حصوله على التقييم السنوي الذي كان يتوقعه واضمحلال فرصة حصوله على ترقية. وصل إلى منزله فاستقبلته زوجته تسأله عن الاحتياجات التي طلبتها فرد عليها بنبرة غضب لم تحتملها ولم تتمكن من امتصاص غضبه.. علت أصواتهما فصبّ عليها جام غضبه وامتدت يده إليها.. تأزمت العلاقة بينهما وانتهت بالانفصال الذي كان ضحيته الأطفال الأبرياء.

حادثة واحدة من الكثير من الحوادث والمواقف التي تحدث يوميًا داخل الأسرة بين الأزواج وبين الآباء والأبناء وفي المجتمع والعمل ومختلف مجالات الحياة، فتنتهي بعواقب وخيمة من التأثير على العلاقات وهدمها والتباعد والعداوة، بل قد يصل الأمر إلى فقد الأرواح في لحظات غضب عابرة يفقد فيها الإنسان أعصابه وعقله وتوازنه فيصبح كالمجنون، ثم ينتهي بالندم والاعتذار الذي قد لا يفيده. قال الإمام علي عليه السلام: إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم[159]. وقال: الغضب نار موقدة، من كظمه أطفأها، ومن أطلقه كان أول محترق بها[160]. كما أن للغضب آثارًا سلبية على الصحة الجسدية والنفسية، ويجعل الإنسان غير محبوب عند الآخرين إذا ما كان الغضب سمة بارزة عنده يغضب على كل صغيرة وكبيرة.

الغضب إن لم يكن لله فهو من الأخلاق الذميمة وهو شر يدمر حياة البشر إذا ما استُجيب له. قال الإمام علي عليه السلام: الغضب شر إن أطعته دمر[161]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: الغضب مفتاح كل شر[162]؛ وذلك يؤكد أهمية وصية النبي صلى الله عليه وآله ومدى أبعادها لذلك الإعرابي الذي سأله فقال له لا تغضب ثم سأله فكررها ثلاثًا (لا تغضب) نظرًا لما ينتج عن الغضب من شرور وعواقب وخيمة لا يُحمد عقباها.

التحكم في الغضب مطلب مهم يحتاجه الكثير منا وإن لزم الأمر وقتًا طويلًا لترويض النفس وتهذيبها والحد من انفعالاتها. ولكي يتحكم الإنسان في غضبه ويعالجه ولا يفسد إيمانه، عليه أن يتذكر دومًا نصيحة نبينا المصطفى ﷺ لذلك الإعرابي الذي قال له (لا تغضب) وكأنه هو المعني بها. وكذلك العمل بالوصايا التي وردت في الروايات ومنها الصمت، والاستعاذة من الشيطان الرجيم، وتغيير الحالة والهيئة فإن كان قائمًا يجلس، وإن كان جالسًا يقوم أو يضطجع، وإن كان الغضب مع ذي رحم يُنصح بلمس الرحم لأن الرحم إذا مُسّت سكنت. قال الإمام أبي جعفر عليه السلام: وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسّه، فإن الرحم إذا مُسّت سكنت[163].

كما أنه من الضروري التعرف إلى الأسباب المثيرة للغضب والتخلص منها، والصبر وحسن الظن، ومراعاة مشاعر الآخرين وظروفهم، والتأكد والتحقق وعدم التسرع في الحكم، والتكيف مع المواقف المثيرة للغضب، والتفكير في العواقب الوخيمة.

ومن أنجع السبل للتحكم في الغضب الحلم وكظم الغيظ ابتغاء وجه الله تعالى. فقد ورد أن جمال الرجل في حلمه وأن الإنسان إن لم يكن حليمًا يمكنه التحلُّم والتدرب على ذلك. قال الإمام علي عليه السلام: إن لم تكن حليمًا فتحلّم، فإنه قلَّ من تشبّه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم[164]؛ وقال عليه السلام: إنما الحلم كظم الغيظ وملك النفس[165]؛ وقال: احترسوا من سورة الغضب، وأعدوا له ما تجاهدونه به من الكظم والحلم[166].

التحلي بالحلم وكظم الغيظ والتحكم في الغضب ليس ضعفًا وليس فيه ذلة وإهانة كما يتصور البعض بل هو شجاعة وقوة امتدحه سيد الخلق. قال رسول الله ﷺ: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[167].

الحسد.. والتباهي بالنعم

الحسد هو أحد الأمراض النفسية التي تُبتلى بها المجتمعات بوجود أفراد مرضى يغيظهم ويزعجهم رؤية غيرهم يرفلون في نعم الله سبحانه وتعالى بمختلف أنواعها، فيتمنون زوال تلك النعم عنهم ولا يهنأ لهم بال إلا بعد زوالها. وقد حذر منه النبي الأكرم ﷺ ووصفه بداء الأمم في قوله: "ألا إنه قد دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين"[168].

البعض منهم قد يتظاهر بالصداقة والود والحب ويُظهر ذلك في أقواله ولكنه لا يستطيع تحمل ذلك فيظهر في أفعاله وتصرفاته. قال الإمام علي عليه السلام: "الحاسد يظهر وده في أقواله، ويخفي بغضه في أفعاله، فله اسم الصديق وصفة العدو"[169].

الحسد هو إحدى آفات الدين كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "آفة الدين الحسد والعجب والفخر"[170]. والحاسد يخسر إيمانه وحسناته التي اكتسبها وذلك لشعوره بعلو مكانة وشأن المحسود، ودنو منزلته ومكانته، وشعوره بالنقص والحقارة التي تؤجج نار الحقد والحسد في قلبه. قال رسول الله ﷺ: "إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[171]. وقال الإمام علي عليه السلام: "إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب"[172]. وذلك لأن الحاسد واقعًا يعترض على قضاء الله وحكمته وقضائه وتقسيمه للأرزاق بين عباده. قال تعالى: **{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...}**[173]. وورد عن رسول الله عليه السلام: قال الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام: يا ابن عمران لا تَحْسُدْنَّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنَّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يكُ كذلك فلست منه وليس مني[174].

وماذا يستفيد الحاسد غير المرض الجسدي والنفسي والحسرة والعيش في هم وغم وكمد، والكراهية من قبل الآخرين، والعيش في عزلة من المجتمع منبوذًا غير مرغوب فيه. قال الإمام علي

عليه السلام: "الحسد لا يجلب إلا مضرّة وغيظًا يوهن قلبك ويمرض جسمك"، وقال: "صحة الجسد من قلة الحسد"، وقال: "من ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس"[175].

فمع هذه الخسارة الكبرى في الدين والمضار التي يعيشها الحاسد وفي نهاية الأمر لا يستفيد شيئا من زوال النعمة عن أبناء مجتمعه، وقد يكونون من أقرب المقربين إليه. فما يضيره لو اقتنع وسلَّم بما قسمه الله له من نعم، ورضي بحكمة الله وقضائه، واستبدل الحسد بالغبطة وتمنى وسأل الله أن يرزقه مثل تلك النعم بدون أن يتمنى زوالها عن الآخرين فذلك أمر حسن يعود عليه بالنفع ويحفظ له إيمانه. قال الإمام الصادق عليه السلام: "إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط"[176].

ورد في الحديث "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"، ولكن للوقاية من الحسد ينبغي على من أنعم الله عليه من فضله الاستعانة على قضاء حوائجه بالكتمان قدر المستطاع، وعدم التباهي والتفاخر بالنعم عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي مراعاة لمشاعر ونفوس الآخرين الذين قد لا تخلو نفوس بعضهم من مرض الحسد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود"[177].

آفة العُجب

العُجب مرض نفسي يُصاب به الإنسان فيغتر ويزهو ويتباهى بأعماله وعبادته وعلمه وثروته ووجاهته وكل شيء يقوم به، فيرى نفسه هو الأفضل والأكرم ولا يجاريه أحد. دائمًا يقارن نفسه بالآخرين ويعتقد بأنه هو على صواب والباقي على خطأ، ويصاب بحالة من الغرور والتكبر والغطرسة والرياء وحب الذات، ولا يهمه تسقيط من حوله ليرتقي ويبرز ويتقدم هو ويكون له مكانة رفيعة وكأنه يقول (أنا ربكم الأعلى)، وما يجري على غيره من التسقيط والإهانة لا يهمه لأن هدفه الأسمى هو "أنا" فقط.

إنه لا يتورع عن التسقيط والغيبة والنيل والتشهير بالآخرين ليخلي الساحة له ليثبت لكل من حوله بأنه هو الأفضل والأكمل والأكفأ والأجدر لمكاسب دنيوية حقيرة مضحيًا بالشيء الكثير ومخططًا لطريق هلاكه بنفسه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "من دخله العجب هلك"[178]. وأين هو من قول الله تعالى: **{... فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}**[179]. وقوله **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}**[180].

مهما بلغ المرء من منصب مهني أو مرتبة علمية، أو ملك من ثروة أو وجاهة اجتماعية تبقى التقوى هي المعيار الحقيقي، وذلك لا يخوله أن ينفش ريشه على من حوله، ويعجب ويزهو بنفسه ويتغطرس ويتكبر على غيره ويتحول عمله من القربة إلى الله والخلوص إلى الرياء وحب السمعة والشهرة. قال الإمام علي عليه السلام: "العجب يظهر النقيصة"؛ وقال: "من أُعجب بفعله أُصيب بعقله"[181].

وكم يفخر الإنسان ويقف وقفة إجلال واحترام لأناس بلغوا من العلم أعلى المراتب، وأناس كان لهم الجاه والثروة والمكانة الاجتماعية، ولكنهم في قمة الزهد والتواضع ولم يسمحوا للعجب أن يتسلل إلى نفوسهم.

مكانتك ليست مبررًا للسخرية والتكبر

ينقل أحد الأصدقاء قائلًا: كنت جالسًا في مجلس أحد الوجهاء ممن لهم مكانة واحترام في المجتمع، فإذا برجل تبدو عليه علامات الصلاح والإيمان عند مدخل المجلس. استقبله صاحب المجلس بكلمات ساخرة بصوت منخفض خلقت جوًّا من الفرفشة والمرح، وابتسم من ابتسم وضحك من ضحك من ضيوفه بهدوء، مجاملة وتزلفًا له؛ وما أن اقترب الرجل منه استقبله بالحفاوة والترحيب.

يقول لقد اهتزت صورة الوجيه في نظري وسقط من عيني وجعلني هذا المشهد أغير نظرتي تجاهه، وأتساءل هل تسمح له وجاهته ومكانته بالسخرية من الآخرين وغيبتهم، ويظهر أمام المجتمع ويحظى بالاحترام والتقدير؟

مشهد قد يتكرر في الكثير من المجالس سواء من الوجهاء أو غيرهم ويعتبره البعض من باب المزاح والتسلية وهو واقعًا يحرق الحسنات من حيث لا يشعر المرء مقابل دقائق من المرح والتسلية.

مهما تكن مكانة الشخص ووجاهته ومنصبه وثروته فلا يخوله ذلك السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم وغيبتهم والانتقاص من شأنهم. فقد يكون ذلك الشخص أعز وأكرم منه عند الله؛ فالمعيار الإلهي واضح بأن المائز الحقيقي بينهم هو التقوى. قال تعالى: **{... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...}**[182].

عندما يُنعم الله عليك بوجاهة أو ثروة أو منصب أو علم أو مكانة اجتماعية مرموقة فعليك أن تشكر المنعم على هذه النعم وأن يكون شكرك بالقول والعمل، وأن لا يصيبك الغرور والعجب والتكبر والتعالي على غيرك، وتسمح لنفسك بالانتقاص من شأن الآخرين وعدم احترامهم. فمن جعلك في هذا النعيم هو قادر على أن يسلبه منك في طرفة عين وتصبح من الخاسرين.

بعيدًا عن التعميم ولله الحمد يوجد عدد كبير من النماذج المشرفة من الوجهاء والأثرياء وذوي المناصب العليا الذين لم يؤثر عليهم ما وصلوا إليه ولم يتغير معدنهم الأصيل، ويتمتعون بالأخلاق الحسنة ويحترمون الصغير قبل الكبير، وعلى مستوى عالٍ من التواضع والتواصل الفاعل مع مختلف طبقات المجتمع، ولا يسمحون لأنفسهم بالسخرية والاستهزاء من الآخرين وغيبتهم، وليس من صفاتهم العجب والتكبر والتعالي، وبذلك احتلوا مكانة في قلوب الناس. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم"[183].

وما أكثر التوجيهات الربانية لتهذيب النفس وتربيتها على المنهج السليم والخُلُق الحسن، والتي لا تغيب عن الكثير ولكن من باب الذكرى نكتفي بأربعة منها.

فإن دعتك نفسك للسخرية تذكر قول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا...}**[184].

وإن دعتك نفسك للغيبة تذكر قوله تعالى: **{... وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...}**[185].

وإن كانت نفسك معتادة على التكبر فتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي: "قول الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في نار"[186].

وإن كان لها نصيب من العُجب فتذكر قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه للأشتر لما ولاه مصر: "إياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين"[187].

(مكانتك - في العنوان): يمكن استبدالها بأي كلمة (وجاهتك، منصبك، منزلتك، مرتبتك، علمك، ...).

السلبيون أعداء أنفسهم

الحياة جميلة لمن أرادها أن تكون جميلة، ولمن نظر إليها بإيجابية، وترك البقع الصغيرة السوداء، ومتّع بصره بالمساحة الشاسعة من البياض، وجال بنظره نحو النصف المملوء بالماء لا الجزء الفارغ من الكأس، والجانب المثمر من الشجرة لا الذي تجرد من الثمار، والجانب المضيء لا ما خيم عليه الظلام، وبحث عن كل ما يجلب له السعادة ويحرره من قيود التعاسة والكآبة.

السلبيون يشكلون حجر عثرة في طريق تقدم البشرية لمن يعيرهم اهتمامًا أكثر مما يستحقونه. السلبيون هم أعداء أنفسهم قبل أن يكونوا أعداء غيرهم وكما يقال: "لديهم مشكلة لكل حل"، منبوذون في المجتمع اعتادوا على النظرة السوداوية وبث الرسائل السلبية المحبِّطة للآخرين والمثبطة لعزيمتهم والمحطِّمة لمعنوياتهم. يؤلمهم ويغيظهم أي نجاح من حولهم لابتلائهم بداء الحقد والغيرة والحسد فيفتشوا عن أي هفوة ويتصيدوا الأخطاء والعثرات بنظرة تشاؤمية ليَنفذوا من خلالها للنيل من الآخرين، فيصنعون من الحبة قبة، ويهولون الأمور، ويعممون لكي تطغى السلبيات التي قد لا تُذكر على الإيجابيات.

ما من شك بأن كل عمل أو مشروع له إيجابياته وسلبياته ويستحيل أن يبلغ الكمال، ولا يمكن التطوير والارتقاء إلا من خلال التغذية الراجعة من المعنيين والاستماع إلى الإيجابيات والسلبيات معًا. وهنا يتجلى بوضوح تمييز السلبيين من الإيجابيين من خلال أسلوب النقد إن كان هادفا وبنَّاء أو كان سلبيًا وهدَّامًا يحمل أغراضًا غير نزيهة، بعيدًا عن هدف الإصلاح والتطوير.

السلبيون يثقل عليهم تقديم الشكر والثناء وإبراز محاسن الآخرين وتقدير جهودهم، ويفتشون عادة عن السلبيات ويضعونها تحت المجهر لتضخيمها ويسلطون عليها أضواء الإعلام ليصطف معهم المؤيدون ومن هم على شاكلتهم من المرضى بداء السلبية، ليصنعوا لهم قضية من لا قضية رغبة في الظهور والشهرة.

السلبيون موجودون في كل مكان وفي كل زمان ويحملون نفس الفكر والتوجه وإن اختلفت الأهداف. من طبعهم التنظير والكلام والانتقاد من بعد، والخوض حتى في ما ليس لهم علاقة به ولا تخصص. فعندما نسلط الضوء على مجال العمل التطوعي الاجتماعي نلاحظ انتشار السلبيين الذين يتلذذون بنشر أفكارهم السلبية الهدامة وإذا ما طُلب منهم الانضمام والمشاركة بمرئياتهم وأفكارهم ومقترحاتهم البنَّاءة، وتقديم الخدمات للمجتمع رأيت منهم التقهقر والتراجع إلى الصفوف الخلفية ووضع قائمة طويلة من الأعذار الواهية من الانشغال وعدم توفر الوقت وغيرها. هذه الفئة تنأى بنفسها عن النزول إلى ساحة العمل والتطوع وتنتظر من يقدم لها طبقًا ويغذيها بملعقة من ذهب، وتترفع عن تقديم أي دعم معنوي أو مادي في سبيل الارتقاء بالخدمات الاجتماعية التي يقدمها المتطوعون، بل بالعكس توجه إليهم سهامها المتجردة من الإيجابية لتثنيهم عما يقدمونه من خدمات جليلة.

هذه الفئة وإن كان صوتها يبدو مرتفعًا إلا أنها قليلة وينبغي الحذر في كيفية التعامل معها. فلا ينبغي الاستسلام لها والتأثر برسائلها السلبية وأفكارها الهدامة المثبِّطة، وأفضل حل هو تجاهلها وتهميشها وتحجيم دورها لكي لا تشعر بأن لها حجمًا وقيمة وأهمية فتتمادى، وتجد من يساعدها ويشجعها على تحقيق أهدافها وإرضاء أهوائها وغرائزها السلبية.

الفصل الثالث

الدِّين المعاملة

الشيخ النراقي مثال للأخلاق الفاضلة

عندما ألّف الشيخ محمد مهدي النراقي كتابه المشهور "جامع السعادات في الأخلاق"، بعث عددًا من النسخ إلى علماء النجف ومنهم السيد محمد مهدي بحر العلوم. وبعد مدة ذهب الشيخ النراقي إلى النجف الأشرف فجاء علماء النجف لمقابلته ما عدا السيد بحر العلوم الذي كان له وزنه ومكانته، افتقده الشيخ النراقي ولكنه التمس له العذر بأنه قد يكون مريضًا أو غير ذلك وقرر أن يزوره بنفسه.

ذهب الشيخ النراقي لزيارة السيد ولكن استقبال السيد له كان فاترًا ولم يعتنِ به. وبعد أيام قام الشيخ النراقي بزيارة السيد مرة أخرى ولم يتغير استقباله له عن المرة الأولى بعدم الاعتناء. ولكن الشيخ كرر الزيارة مرة ثالثة وعندما علم السيد بوجوده عند الباب، قام بنفسه حافيًا واحتضن الشيخ النراقي بحرارة وبالغ في احترامه. وعندما سأله عن حاله قال: لقد ألّفتَ كتابًا حول الأخلاق وتزكية النفس، وبعثتَ بنسخة منه إليَّ، وأنا قرأته من أوله إلى آخره بدقة، إنه كتابٌ رائع في الأخلاق ونادر في تربية الذات. أما السبب في أنني لم أحضر للقائك، وعندما أتيتني لم أُعِرْك اهتمامًا من أجل أن أختبر مدى التزامك بما كتبته في الأخلاق، وضبط النفس والصبر والحلم وكظم الغيظ!.. كنتُ أقصد من تصرفي معك كيف تكبح هواك، وتسيطر على غضبك!.. وهل أنت من الذين يكتبون ما لا يعملون، ويقولون ما لا يفعلون؟.. ولكن ثبت أنك لست منهم وقد نلتَ في الأخلاق وتزكية النفس درجة عالية، فأنت بنفسك كتاب أخلاق تَهدي الآخرين بأخلاقك وليس بكتابك فحسب.

لم يكن اختبارًا سهلًا ولكن الشيخ النراقي اجتازه بجدارة وكان مجسِّدًا لكل ما كتب عن الأخلاق ولم يكن متصنعًا لها. لقد نجح بحسن ظنه بالسيد والتمس له الأعذار منذ اللقاء الأول الذي لم يحضره، وكذلك في الزيارات التي قام بها إلى بيته ولم يعتنِ به ويستقبله بالحفاوة التي تليق به، ولكنه كان صابرًا متواضعًا حليمًا كاظمًا غيظه متحكمًا في أعصابه.

الشيخ النراقي ما هو إلا واحد من العديد من النماذج الأخلاقية التي سطرها التاريخ لرجال الدين وغيرهم. وفي الجانب المقابل لا تخلو الساحة مِمّن بلغ مرتبة ومكانة رفيعة ولكنه خسرها بسبب سوء في خلقه واتصافه بإحدى الصفات السيئة كالحسد والغرور والأنانية والغيبة والتكبر والعجب، والاستنقاص من قدر الآخرين، والسخرية منهم، وعدم إخلاص عمله لله تعالى. إن النفس لأمارة بالسوء لمن يفسح لها المجال، وتحتاج للمراقبة والمحاسبة، والاختبار بين الفينة والأخرى... ورد عن السيد دستغيب في كتابه "القلب السليم": "لو وُجد طالب علم يتصدى لتدريس العلوم الدينية فعليه أن يختبر نفسه هل إن ما يقوم به عبادة وإطاعة لأمر الله أو أنه لإبراز نفسه وكمال ترويحها والتظاهر وزيادة الأتباع والأنصار. فلو أنه شعر بالألم والانكسار والتأثر عندما يقل أتباعه أو ينصرفون إلى شخص آخر ويصغون لغيره ويمدحونه فعليه أن يراجع نفسه ونيته والدافع لما يقوم به".

البعض يكتبون ويتحدثون مجاملة، أو إرضاء لأطراف معينة، أو لمصالح شخصية، أو أنهم يتخذون ذلك مصدر رزق لكسب المادة ولا يهمهم إن كان فعلهم موافقًا لقولهم أم لا.. الجانب النظري سهل بأن نكتب ونتكلم ولكن الصعوبة تكمن عندما نكون في مجال التطبيق... فهل نطبق ما نتعلمه وما نكتبه ونقوله عندما نكون في ساحة العمل وتواجهنا بعض المواقف والتحديات؟ البعض قد يتخذ موقفًا سلبيًا منذ اللحظات الأولى، ولو كان مكان الشيخ النراقي لم يحسن الظن ولم يبحث عن أعذار للسيد، ولم يفكر في زيارته. ولو زار السيد ولم يعتنِ به من المرة الأولى لاعتبرها إهانة له وغضب وخرج من عنده ولم يفكر في زيارته مرة أخرى.

نستلهم من قصة الشيخ النراقي دروسًا قيمةً في جملة من الأخلاق التي سطرها في كتابه جامع السعادات الذي يُعد من أبرز وأهم الكتب في الأخلاق. الأخلاق ليست دروسًا نظرية نتعلمها ونتحدث عنها أو نكتب عنها ونتغنى بها، بل نحتاج أن نهذب أنفسنا، ونطبقها في حياتنا العملية ولو تدريجيًا للتكامل والسمو. فبالإضافة إلى الأخلاق التي تجسدت في هذه القصة هل نطبق العفو والصفح والتسامح مع من يختلف معنا ويسيئ إلينا أم أننا نُصّر على القطيعة والجفاء لو كنا في هذا الموقف؟.. هل نصل من قطعنا؟.. هل نتواضع لغيرنا أم أننا نتعالى ونتكبر ونُصاب بالعجب عندما ننال شيئًا من نعيم الدنيا الزائل؟.. هل نستر عورة أخ انكشفت أو نساعد ونبادر في نشرها والتشهير به على الملأ؟ هل.. وهل...؟

نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا، ويهدينا للصلاح والتقوى ومن الأخلاق ما يرضى.

مكانتك في قلوب الناس

في السنوات الأخيرة فقدنا عددًا من الأحبَّة الأعزاء الذين تركوا أثرًا كبيرًا في نفوس محبيهم بعد فراقهم. لن أعدد أسماءً خشية سقوط أحد الأسماء سهوًا وسأقف على بعض القواسم المشتركة التي جعلتهم يحتلون حيزًا في قلوب محبيهم ويبقى ذكرهم مخلد وتبقى صورتهم مشرقة براقة على مر الزمن.

مما لا شك فيه بأنهم قد عملوا على غرس بذور الحُب في قلوب من حولهم وتعاهدوها لتنمو ومن ثَمّ جنوا الحب من قلوب صادقة وفاءً وعرفانًا لهم. وقد عمّق جذور هذا الحب أخلاق رفيعة ومعاملة راقية سمت بها نفوسهم. فبتواضعهم واحترامهم للصغير والكبير ارتفع قدرهم وعلت درجتهم ونالوا نصيبًا من الاحترام والتقدير. وبتضحياتهم وإيثارهم وتفانيهم، ونقاء نفوسهم من الأنا والحسد والكبر والعجب والغطرسة استحوذوا على قلوب الناس وكانت لهم مكانة مرموقة. وبتركهم كثرة اللوم والعتاب وما لا يعنيهم، وتحليهم بالتسامح والعفو والتغافل جعلوا القلوب تميل وتتودد إليهم.

كل ذلك لم يخلُ من الكلمة الطيبة المنتقاة بعناية لمراعاة مشاعر الآخرين وعدم المساس بأحاسيسهم، مصحوبة بوجه بشوش وابتسامة حيوية مشرقة على محياهم حتى وإن كانت قلوبهم تعتصر ألمًا... ابتسامة تبعث على الأمل والحب والتفاؤل والسلام وتزيل جميع الحواجز التي تسهم في تباعد القلوب وتنافرها عن بعضها.

بالإضافة إلى ذلك كان الإبداع حليفهم بامتلاك مهارة متميزة للتعايش مع مختلف أطياف المجتمع وتعددت مفاتيحهم ليكون لكل شخص مفتاحه المناسب بلا تكلّف. لم يسعوا ليكونوا محور الاهتمام للآخرين بل أن الآخرين كانوا محور اهتمامهم يشاركونهم أفراحهم وأتراحهم، ويتواصلون معهم بفعالية كبيرة قدر المستطاع لتحقيق ما يصبون إليه من أهداف سامية.

لم يستحوذ عليهم حب الذات والاستقلالية في معيشتهم بل كانوا يستشعرون ويتلمسون حاجات المجتمع وكان لكل منهم دور بارز في مجاله ليكون له بذل وعطاء مميز مادي أو معنوي وإحسان لم ينتظر له مقابلًا من أحد. البعض كان عطاؤهم ماديًا لدعم مختلف المشاريع والأنشطة والبرامج ولم يتبعوا عطاءهم بالمن والأذى وطلب الشهرة والسمعة. والبعض الآخر نذروا أنفسهم وطوَّعوها لخدمة المجتمع بوقتهم وجهدهم في شتى المجالات، كل حسب تخصصه ورغبته وميوله. لقد كانوا شموعًا تحترق لتضيء للآخرين طريقهم وتسهل أمورهم وكانوا يستمتعون بجلب السعادة للآخرين ورسم الابتسامة على شفاههم، همُّهم التعاون والتكاتف والتضامن لرقي مجتمعاتهم ونموها وتطورها ولنهضة أوطانهم.

لقد رحلوا وتركوا بصمة في قلوب محبيهم.. لقد رحلوا وتركوا من خلفهم الذكر الجميل والكلمة الطيبة والعمل الصالح.. لقد رحلوا ولكنهم في الواقع لم يرحلوا وسيبقى ذكرهم يتجدد، تغمدهم الله بواسع رحمته.

سبع كلمات لكسب قلوب الآخرين

سبع كلمات قصيرة وخفيفة يحتاجها كل منا لتكون في محفظته يتنقل بها في أي مكان ولن يرهقه حملها. كلمات خفيفة على اللسان تكسب القلوب وتدخل السرور وتجبر المصاب وتشعر الطرف المقابل بالاهتمام وتعزز التواصل العائلي والاجتماعي. في ميدان الذكاء الاجتماعي كلمة واحدة لكل حدث قد لا تكفي عند البعض وجميل أن يعبر الإنسان عما يخالج مشاعره، وما هذه الكلمات إلا لإظهار أضعف الإيمان لمن كان في عجلة من أمره أو أنه لا يجيد التعبير، ولو أن الأمر اليوم أصبح سهلًا جدًا مع عملية النسخ واللصق (copy/paste) في وسائل التواصل الاجتماعي. احملها من اليوم ولا تخلق جوًّا من الجفاء والتجاهل والتهميش، واجعل تواصلك فاعلًا مع الآخرين، وأضف إليها ما يحلو لك لكل حدث ومناسبة حتى وإن كانت كلمة واحدة فسيكون لها وقع خاص في نفوس الكثير وستظهر اهتمامك بهم.

شكرًا: شكرًا لكل من أسدى لك معروفًا وقام بعمل يستحق الشكر عليه

مبارك: مبارك لكل صاحب مناسبة جميلة وكل إنجاز

مأجور: مأجور لكل صاحب عزاء مفجوع بعزيز على قلبه

معافى: معافى لكل مريض اشتد به المرض

آسف: آسف لكل من أسأت وأخطأت بحقه

بالسلامة: بالسلامة لكل مسافر سيغيب عن أهله ووطنه

أحبك: أحبك لكل من يستحق حبك وتقديرك فلا تخجل من قولها لزوجتك ولأي شخص تحبه في الله. قال رسول الله ﷺ: "قول الرجل للمرأة: إني أحبك لا يذهب من قلبها أبدًا"[188]. وقال الإمام

الصادق عليه السلام: "إذا أحببت رجلًا فأخبره بذلك فإنه أثبت للمودة بينكما"[189].

آفات تنخر بجسور الثقة

"في هذا الزمن لا تثق حتى بأخيك" هكذا كان رد فعله عندما استُنكِر عليه إحجامه عن مساعدة صديق كان في حاجة ماسة وملحّة لمبلغ من المال على أن يسدده بعد ستة أشهر. ما الذي جعله يتخذ هذا الموقف السلبي ويرسم صورة سوداوية يعمم فيها على من حوله ويهدم جسور الثقة بهم؟

لقد تعرض في حياته للعديد من المواقف ممن لا يُقدِّرون معنى الثقة وليسوا أهلًا لها حتى جعلته ينهج هذا الطريق ويتخذ موقفًا سلبيًا ليس معهم فقط، بل مع جميع أفراد المجتمع. فمن المواقف ما عاناه من مستأجر لشقة له ظل يماطله بدفع الإيجار في كل ستة أشهر وهو يلاحقه بالاتصالات والتردد على بابه مرارًا وتكرارًا إلى أن وصل به الأمر لرفع شكوى ضده وإخلاء الشقة، حينها أصبح ممقوتًا ومنبوذًا بسبب مطالبته بحقه. وموقف آخر مع أحد الأشخاص الأخيار الأتقياء الذين لم يشك مطلقًا في نزاهتهم وصدقهم ووفائهم بالوعد عندما اقترض منه مبلغًا من المال لمدة ثلاثة أشهر وقد مضى عليه ثلاث سنوات ولم يسدده متناسيًا تارة ومتهربًا تارة أخرى.

إن مثل هذه النماذج كثيرة في مجتمعنا وليست مقتصرة على الصعيد المادي بل تمتد إلى مختلف المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوظيفية والأسرية وغيرها، ولو دَوَّن كل شخص مواقفه لأُلفت منها كتب. إن وجود مثل هذه الفئة يشكل مأساة إنسانية وخطورة ليست مقتصرة على المستوى الشخصي بل تتعداه إلى التشكيك في نوايا وسلوك معظم أفراد المجتمع، والكارثة الكبرى حينما يعمم الأغلبية في الحكم على سلوك الآخرين من خلال هذه النماذج اللامسؤولة في سلوكها وتصرفاتها الإنسانية والأخلاقية. إن انتشار هذه الفئة يشكل آفة تنخر في جسور الثقة المتينة بين أفراد المجتمع حتى تتغلغل وتصبح سمة سلبية بارزة تنتقل من النطاق الفردي إلى النطاق العام. كل

ذلك بسبب ما تتصف به هذه الفئة من كذب وبخس للحقوق، وعدم احترام المشاعر الإنسانية، وفقدان الشفافية، ونكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة.

كم هو جميل أن تكون الثقة متبادلة بين الأشخاص، فالإنسان يشعر بالراحة النفسية ويأنس عندما يثق به الآخرون خصوصًا عندما يتعامل مع من لا يعرفه ولا يمت إليه بصلة، وكم يتأثر عندما يفقد الثقة من أعز الناس إليه ويحذر الآخرون من التعامل معه لما لمسوه منه أو من غيره ممن هم في القائمة السوداء.

إن ديننا الحنيف يحثنا على التحلي بالأخلاق النبوية الحميدة ومنها حسن الظن وبناء جسور الثقة بين الأفراد لما فيها من مصلحة عامة لتوطيد العلاقة والتكاتف والتعاون والتقدم والرقي. وعليه فالتعامل بسياسة "لا إفراط ولا تفريط" قد يكون هو الأنسب، فلا ينبغي التعميم وفقد الثقة بجميع أفراد المجتمع، ولا ترك الحبل على الغارب والإفراط في الثقة بمن لا يستحق، بل لا بدّ من توخِّي الحذر والتريث ودراسة الشخصية دراسة مستفيضة واختبارها والسؤال عنها للتأكد من أنها أهل للثقة. قال الإمام علي عليه السلام: "شر الناس من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله"[190].

لقد تفشى انعدام الثقة وانتشر في مجتمعنا على النطاق العام بخلاف ما تتميز به المجتمعات التي لا تدين بدين الإسلام. فمن المواقف ما توليه بعض الفنادق من ثقة كبيرة بالنزلاء بعدم الاكتفاء بوضع ثلاجة المرطبات داخل الغرفة بل وضعها في مكان عام في الممرات بعيدًا عن الأنظار والثقة بالنزيل لدفع قيمة ما يستهلكه. وموقف آخر ما توليه بعض الدول من ثقة عمياء بالمواطنين والسياح في استخدام وسائل المواصلات من مترو و(ترام) بدون التدقيق والتأكد من وجود تذاكر سارية المفعول. إن مثل هذه الثقة جديرة بأن تجعل الشعوب تشعر بالفخر والاعتزاز والتغيير من سلوكها لتكون أهلًا للمزيد من الثقة.

كما تَدين تُدان

تفاجأ بما حل به وأصابه، فوقف مذهولًا وقفة المتأمل المتفكر يستعرض شريط الماضي من أعماله، فإذا به يمر بنفس الموقف قبل فترة من الزمن، فجلس يحاسب نفسه ويلومها على ما اقترفته وعملته تجاه الآخرين، ويردد هذا بذاك تجسيدًا لهذه الكلمات "كما تَدين تُدان". ثلاث كلمات قصيرة لكنها تحمل المعاني الكبيرة وفيها العِبرة، لمن أراد العِبرة والعظة، لمن أراد العظة ببلاغتها ومنهجيتها.

يتصور الإنسان أنه حر في تصرفاته مع الآخرين، يفعل ما يشاء ويتصرف كيفما شاء، يظلم هذا ويعتدي على ذاك، ويسيئ بقول أو فعل لذاك بكبرياء وتغطرس واحتقار للكرامة الإنسانية، التي تفضَّل بها الخالق المنّان وأعز بها الإنسان، ظنًا منه أنه في مأمن، متغافلًا ومتناسيًا القانون الإلهي الطبيعي بأنه لا بدّ وأن يأتي ذلك اليوم ليتجرع نفس الغصة، ويشرب من نفس الكأس هو أو من يعيله ويعز عليه. هذه الكلمات الثلاث ليست مقتصرة على الجانب السلبي فقط بل تشمل الجانب الإيجابي، جانب الخير والإحسان إلى الآخرين قولًا وعملًا، فمن زرع خيرًا حصد خيرًا لنفسه وأهله وتفتحت له أبواب خير لم يكن يحتسبها ويتوقعها. قال تعالى: **{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ...}**[191].

يقول علماء التنمية البشرية ضع نفسك مكان الآخر قبل أن تتلفظ بكلمة أو تقدم على أمر فإن ارتضيته لنفسك فأقدم عليه وإلا فاجتنبه لتتفادى الإساءة إلى الآخرين بما يزعجهم. إن كان ذلك في العصر الحديث فقد رسم هذه المنهجية سيد الأنبياء وآله الأطهار قبل أكثر من 1400 عام. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "أعدل السيرة أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به". وقال: "اصحب الناس بأي خُلُق شئت يصحبوك بمثله"[192]. ففي ذلك درس لكسبهم ومداراتهم ومراعاة مشاعرهم وتفادي

العواقب الوخيمة غير المرضية، التي قد تحل بالفرد وانعكاساتها السلبية عليه على الأسرة والمجتمع.

وما أروع الدرس الذي استلهمه ذلك الشاب - وأصبح من أرقى الدروس التربوية لمن فتح الله على قلبه - حينما أتى النبي ﷺ وقال له: أتأذن لي بالزنا؟! فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: ادنُ، فدنا حتى جلس بين يديه ثم قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك! قال: فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك! قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك! قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، وكذلك لعماتهم وخالاتهم. ثم بعد هذا كله مد الحبيب يده ووضعها على صدر الشاب، وقال: "اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه"[193].

إنه قانون شامل لا يختص بموضوع معين بل ينطبق على كل الأمور في هذه الحياة صغيرة كانت أو كبيرة، خيرًا كان أو شرًا فافعل ما شئت واحصد ما تزرع في بستانك ولا تلومن إلا نفسك فكما "تدين تدان". قال رسول الله ﷺ: "بروا آباءكم يبركم أبناؤكم، وعفوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم"[194].

وبالوالدين إحسانًا

في أحد الأيام كنت راكبًا القطار في لندن وإذا بسيدة كبيرة في السن جلست أمامي، وما أن علمت بأني مسلم حتى أخذت تبث شكواها من تصرفات ابنها الذي اعتنق الإسلام وتزوج امرأة مسلمة. تقول بحرقة قلب لم يعد ابني الذي كنت أعرفه بسبب جفائه وسلوكه وخلقه الفظ وعدم السماح لأبنائه لزيارتي ورؤيتي. فتساءَلَت بتعجب أهكذا هي تعاليم دينكم اتجاه الوالدين؟!

فأجبتها كلا... إن من تعاليم ديننا الحنيف الإحسان والرحمة والرفق وطاعة الوالدين وإن كانا غير مسلمين ما لم يدعوان للشرك بالله تعالى. وأخذْتُ أوضح لها بعض تعاليم شريعتنا السمحاء في حق الوالدين وعدم السماح بالتلفظ بكلمة "أف" المكونة من حرفين يخرجان بسهولة وبدون جهد من بين الشفتين تعبيرًا عن التضجر والتذمر. وأن ما يصدر من ابنك هو اجتهاد شخصي بعيد كل البعد عن الخلق النبوي الرفيع الذي اكتسبناه من سيد الأنبياء والمرسلين وخاتمهم محمد ﷺ الذي كان على خلق عظيم وقدوة في التعامل مع المسلمين وغيرهم حتى مع جاره اليهودي الذي كان يؤذيه.

لقد رسم لنا الله جلّ وعلا منهاج التعامل مع الوالدين والبر بهما والإحسان إليهما في كتابه المجيد في أكثر من آية كما في قوله تعالى: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا}**[195]. وقال تعالى: **{وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا...}**[196].

وقال في آية أخرى: **{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}**[197].

لقد حرم الإسلام عقوق الوالدين وقرن رضاه برضاهما وأوجب النار لمن عقّهما. وقد حث على الجلوس معهما لإدخال الأنس والسرور عليهما، وعدم الخروج حتى إلى الجهاد بالرغم من

مكانة الجهاد العظيمة إذا كان ذلك يؤذيهما، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ عندما جاءه رجل وقال: يا رسول الله، إنّ لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي؟ فقال ﷺ: "ففرَّ مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يومًا وليلة خير من جهاد سنة"[198].

إنها نعمة من الله أن يكون للإنسان والدان في داره يهتم بشؤونهما ويبرهما ويستبشر الخير الكثير بالنظر إلى وجهيهما، وقد ورد في السنة الشريفة إن الله يرضى عنه، ويرزقه طول العمر والسعة في الرزق، والبر به من قبل أبنائه مجازاة له في الدنيا قبل الآخرة. البعض يوفق للبر بوالديه وهما يتمتعان بالصحة والعافية، ويوليهما جلّ اهتمامه ويحرص أن تكون خدمتهما وتأدية حقوقهما في أعلى قائمة أولوياته. والامتحان الأصعب الذي لا يتجاوزه إلا القليل هو عندما يبلغان مرحلة الشيخوخة والعجز ولا يستطيعان الحركة بدون الاعتماد على الغير. هنا يتطلب الأمر التضحية والتحمل والصبر وأعلى مراتب الرضا بعيدًا عن وساوس الشيطان بتمني الموت لهما. أدام الله نعمة الصحة على والدينا، وهنيئًا لمن وُفق لهذا الخير والبر بوالديه ولم يتبرأ ولم يتضجر منهما، ولم يشكُ حاله إلى الناس، ولم يشعرهما بأنهما عالة عليه ويرغب في التخلص منهما. حتمًا إنه - والزوجة الصالحة التي تقف إلى جانبه وتعينه على البر بوالديه وتشاطره تحمل الأذى - بين يدي رب رؤوف رحيم كريم لا يضيع أجر عمل عامل عنده. فانظر كيف تريد أن يتعامل معك أبناؤك في حياتك، أثناء صحتك وسقمك وبعد موتك فالأمر بين يديك لتختار ما تشاء لنفسك، فكما تدين تُدان.

لا يستحق أن يكون زوجًا لكريمتك

ظاهره ملتزم دينيًا، مواظب على صلواته ومحافظ عليها، ويحرص على أن يكون دائمًا في الصف الأول في المسجد.

تقدّم لخطبة فتاة لإكمال نصف دينه.. كانت بوادر القبول المبدئية إيجابية للغاية بعد عرضها على الموازين الشرعية والمعايير التي حددها رسول الله ﷺ في الزوج وهي الخُلُق والدين حيث قال: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه"، وأردف ﷺ ذلك بالنهي عن رد صاحب الخُلُق والدين فقال: "إنّكم إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"[199].

عملًا بالعرف السائد تم السؤال لمعرفة المزيد عن المتقدم. منهم من ذكره بالخير والصلاح والتدين، ومنهم من زكاه بالتزامه دينيًا إلا أنهم تحفظوا على سلوكه العملي وخُلُقه وسوء تعامله وتصرفاته مع الآخرين.

لم يتحقق الشرطان عند ولي الأمر وشكّك في الأمر من أنه قد يكون المعني شخص آخر.. فكانت حجته على أنه لا يترك الصلاة ويطيل ركوعه وسجوده!!

غالبًا ما تكون الصلاة والالتزام دينيًا رادعًا للشخص عن سوء الخُلُق وينعكسان على تعامله وسلوكه مع الآخرين عندما ينهل من الدروس الأخلاقية السماوية. إلا أن تلازمهما ليس شرطًا وقد يكون أداؤه للصلاة مجرد عادة اعتاد عليها يستأنس بأدائها ويستوحش بتركها، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، ولو تركه لاستوحش لذلك.. ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء أمانته"[200].

يوضح هذا الحديث المنهجية في الحكم على الناس وعدم الاغترار والنظر إلى طول الركوع والسجود بل الالتفات إلى الجانب الأخلاقي والسلوكي في التعامل مع الوالدين والأهل والأصدقاء

وغيرهم. وكما قيل إن الدين المعاملة فليس الدين بكثرة الصلاة والصيام والحج والزكاة بل لا بدّ أن نهتم بحسن المعاملة مع الآخرين بالتحلي بالأخلاق الحميدة والترفع عن الأخلاق الذميمة التي بدأت تنتشر وتدب في النفوس كالأمراض المستعصية التي يصعب التخلص منها حتى تقضي على صاحبها.

ولا تقتصر المعاملة على الأقربين ومن لهم صلة وعلاقة وطيدة بل تشمل الجميع بمختلف أطيافهم ومذاهبهم وقد أكد على ذلك الإمام الصادق عليه السلام في وصيته المشهورة لكل من ينتسب إليه بقوله: كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا.

رفقًا بالمتطوعين

إن على الأرض رجالًا نذروا أنفسهم لخدمة المجتمع وضحوا بأوقاتهم وراحتهم لرسم السعادة على شفاه الآخرين وقضاء حوائجهم تطوعًا وقربة إلى الله تعالى لا يرجون مقابلًا ولا شكرًا ولا جزاءً من مخلوق.

إنهم يبذلون قصارى جهدهم ويستمتعون بجلب السعادة للآخرين في مختلف الميادين إيمانًا منهم بتحمل المسؤولية وأهمية التطوع، وعظيم الأجر عند الله، وأن قضاء حوائج الناس من نعم الله الجسام عليهم التي ينبغي عليهم المحافظة عليها وعدم الشعور بالملل منها لكي لا تتحول إلى غيرهم. وفي سبيل ذلك تراهم يتحملون صنوف الانتقادات والعبارات السلبية الجارحة من السلبيين ومرضى النفوس الذين يحاولون النيل منهم وتثبيطهم وتضخيم أي مثالب وهفوات، أو اختلاق الاتهامات التي لا أساس لها من الصحة وتشويه سمعتهم والتشكيك بالثقة بهم، ونسف جهودهم وإنجازاتهم، بدلًا من تشجيعهم وتحفيزهم.

إنهم بشر وغير معصومين عن الخطأ والتقصير، فإن صدر منهم شيء من ذلك فصدورهم رحبة، وقلوبهم واسعة، وأبوابهم مشرّعة لاستقبال الملاحظات والنقد البنّاء، والمقترحات التي تنهض وترتقي بالعمل الاجتماعي التطوعي. ولا شك بأنهم سيأنسون بذلك لِوُجود من يقف معهم من أبناء المجتمع، ويقيِّم عملهم ويكون مرآة لهم ويكمل مسيرتهم لتقديم أفضل الخدمات، ويكون شريكًا معهم في الأجر والثواب.

ولربما يكون التقصير منحصرًا في منظمة معينة أو من بعض المتطوعين فهنا يتأكد التواصل الخاص بهدوء واحترام لمعالجة الأمور بحكمة وروية، وعدم التعميم وجلد جميع المنظمات الاجتماعية المشابهة أمام الملأ.

ولله الحمد من باب الإنصاف فإن النسبة العظمى من أبناء المجتمع تدرك وتقدر الدور الكبير الذي يقوم به المتطوعون في شتى المجالات. إلا أن الساحة لا تخلو من بعض السلبيين الذين هم بحاجة إلى أن يكونوا أكثر إيجابية في مثل هذه المواقع التطوعية والبعد عن أساليب الهجوم والتهكم والتعميم والنقد الهدَّام المُنفِّر الذي يكون له انعكاسات وآثار سلبية على نفوس المتطوعين والعمل التطوعي بدلًا من الإصلاح والارتقاء في الخدمات. وعوضًا عن هذه الأساليب السلبية فحبذا لو تم الأخذ بزمام الأمور وتقديم أي مبادرة رائدة لأي منظمة اجتماعية مع الدعم المادي أو المعنوي حسب الإمكانيات المتوفرة لتحقيقها على أرض الواقع تجسيدًا للتكاتف والتعاون والتكافل والتكامل الاجتماعي لخدمة الوطن والمواطنين.

تحية وإجلال لكل متطوع وهنيئا له شرف هذه الخدمة والنعمة التي هي وسام على صدره ينبض بالحياة.. ومن رسم منهجه وأهدافه السامية فلا يعبأ ولا يعيقه ولا يثنيه شيء عن طريقه مادام يؤمن بأن العطاء حياة وسعادة..

يد الله مع الجماعة

الغالبية العظمى - إن لم يكن جميع منظمات العمل - تعمل بروح الفريق الواحد؛ لما في عمل الفريق من اتحاد وقوة وتعاون وتكاتف وتنسيق أفضل بين مختلف الأعضاء المشاركين؛ وذلك للخروج بمحصلة عالية من الإنتاجية والتميز والإبداع والإنجاز في وقت قياسي. وكذلك الحال مع الكثير من المجتمعات التي تعمل بروح الفريق "أو مع جماعة" لنفس الأهداف.

رُويَ عن رسول الله ﷺ: "المؤمنون متحدون متآزرون متضافرون كأنهم نفس واحدة"[201]. في هذه المقالة سنحاول تسليط الضوء على بعض الخلافات التي تحصل في صفوف الجماعة فتُفقدها أو تُفقد بعض أعضائها القوة والفاعلية بسبب عدم الانسجام والتفرقة، وما الذي تحتاجه كل جماعة لتجاوز هذه الخلافات.

مفهوم العمل بروح الفريق ليس جديدًا فقد حثت الشريعة السمحاء على البقاء مع الجماعة ونبذ الفرقة منذ مئات السنوات. رُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أيها الناس! عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة"[202]، ورُويَ أنه ﷺ قال: "يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإنّ الشاذ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذة من الغنم للذئب"[203].

قبل الدخول في صلب الموضوع نلاحظ الحث في الروايات على اتباع الجماعة، فهل يتم اتباع الجماعة حسب كثرة العدد والابتعاد عن الجماعة الصغيرة أم أنّ هناك معيارًا آخر؟ لقد سُئل رسول الله ﷺ عن الجماعة فأجاب بأنهم أهل الحق وإن قل عددهم، وأنهم لا يجتمعون على ضلالة. رُويَ عن رسول الله ﷺ وقد سئل ما جماعة أمتك؟ فقال: "من كان على الحق وإن كانوا عشرة!"[204] وقد ورد في كتاب الله الكثير من الآيات التي توضح بأن كثرة العدد ليست دليلًا على اتباع الحق وليست معيارًا دقيقًا للأخذ به في الكثير من الأمور. قال تعالى: **{... وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}**[205] وعليه لا بدّ من التفكير ودراسة وتقييم الجماعة قبل الانضمام إليها.

في كل جماعة يحدث اختلاف بين الأطراف ما يؤدي إلى الفرقة، إمّا لجزء من الجماعة بحيث تتشكل جماعة أخرى أو ينشق عضو واحد بمفرده لأسباب مختلفة قد تكون من الجماعة نفسها أو الفرد نفسه أو كليهما. فعندما يتسلط عدد من الجماعة في محاولة الاستبداد وفرض السلطة والرأي على الجميع وعدم احترام الآخرين ممن لهم مكانة ووزن ورأي يُعتد به فذلك قد يُحدث شرخًا كبيرًا وتمزقًا للجماعة الواحدة، وينشق بعض أعضائها معتزلين الجماعة إذا لم تُعالج الأمور بحكمة وحنكة على طاولة الحوار بكل شفافية من ذوي العقول الحكيمة للمحافظة على وحدة الجماعة وقوتها. وقد يتسبب ذلك في تشكيل أكثر من جماعة لها نفس الهدف يعملون بتنافس لما يخدم المصلحة العامة، أو أن يشوبهم التحزب والعمل بعضهم ضد بعض بفلسفة "أنا أربح، وأنت تخسر" وكل واحد يبحث عن مصلحته وما يُلمع جماعته.

وقد يكون الخلاف بخروج أحد الأعضاء واستبداده برأيه والعمل بعكس اتجاه التيار مخالفًا لباقي أفراد الجماعة فيواجهه رد فعل قوي من الجماعة، ويخسر بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها. حينها قد يجد نفسه خسر الكثير فيحاول استرداد مكانته وكرامته وإثبات وجوده بمحاولة تشويه سمعة الجماعة. وأحيانًا يشعر بالندم بسبب عمله عكس اتجاه التيار السائد، ولكنه لم يَترك له خط رجعة بسبب حرق جميع أوراقه فيبقى في عزلته، ومنهم من يكابر ويعاند ويواصل ممارساته ومنهجيته حتى لو كان عدد المؤيدين له قليلًا.

العمل بروح الفريق مع الجماعة يحتاج إلى الأخلاق والصبر والتضحية والتكيف والاحترام والتقدير المتبادل بين الأعضاء والذوبان والتنازل عن الأنا والمصلحة الشخصية والتركيز على المصلحة العامة، والتفكير في أنّ نجاح الفريق هو نجاح الجميع، وإذا ما أخفق عضو فالإخفاق سيصيب الجميع ويخفق الفريق.

الخلافات واردة في كل فريق وفي كل منظومة عمل، ولذلك يتم عقد لقاءات أخوية ودية خارج بيئة العمل لكسر الحواجز وتذويب الجليد وتعزيز قوة الفريق والانسجام وكسب الثقة المتبادلة. ولنجاح أي فريق أو جماعة لا بدّ من وجود قائد حكيم مؤثر يملك السمات القيادية المطلوبة وأعضاء فاعلين يعملون بانسجام وتفاهم لتحقيق الأهداف المشتركة. كما أنه لا بدّ من التحلي بالأخلاق الحميدة من تسامح وعفو وأمانة ونزاهة وإخلاص وصدق ومرونة، والبعد عن الأخلاق السيئة من عجب وتكبر وكذب وغدر وغطرسة وغيرها من أخلاق تسهم في تحطيم الفريق

وتمزيقه. قال تعالى: **{... وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...}**[206]. ورُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله" ورُويَ عنه أنه قال: "من استبَّد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها"[207].

نسأل الله أن يجمع كلمتنا ويوحّدها على الحق، ولا يفرق بيننا أبدًا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن تكون يده معنا.

سلوك القطيع

هل سلكتَ سلوك القطيع في أي مجال من مجالات حياتك؟

هل حصل وأنك رأيت نفسك تتبع الأكثرية ممن حولك أو توافقهم على رأيهم بدون تفكير ولا تخطيط في أي مجال؟

ربما تكون في العمل ويُطرح موضوع للتصويت عليه فيبدأ بالتصويت أحد القادة ممن له مكانة مرموقة ويبدي برأيه وإذا بمن حوله، واحدًا تلو الآخر، يبدون له تأييدهم لرأيه بدون أي معارضة حتى وإن كان هناك آراء أفضل، وقد يكون ذلك مجاملة أو خوفًا فيخرج الجميع برأي واحد يطبلون للقائد ويشيدون برأيه. وإذا ما أثبتت الأيام وكشفت الخطأ في اتباع ذلك الرأي أو المشروع فغير القائد رأيه مالوا معه ذمًا للسابق ومدحًا للاحق.

أو تكون في مجتمع ويُثار موضوع اجتماعي ما فيبدي أحد الوجهاء أو الرموز أو الزعماء رأيه فترى الأغلبية منحازة إلى ذلك الرأي بلا تفكير ولا تخطيط. وقد يظهر أحد مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي بالإعلان عن أحد المطاعم فترى الناس محتشدين عند ذلك المطعم، وكل من رأى الأعداد الكبيرة اتخذها شهادة تزكية للجودة، والتحق بهم. وقد يكون بجانبه مطعم أفضل بكثير منه إلا أن عدد الزبائن محدود جدًا.

وفي أسواق الأسهم ما أكثر المنفذين لطلبات البيع والشراء عند أقل ارتفاع أو انخفاض في السوق يقوم به بعض المضاربين فترى الناس معهم كما يُقال في الأمثال "مع الخيل يا شقرا".

ما هو الفرق بين هذا السلوك وسلوك القطيع؟

سلوك القطيع يُطلق عادة على تصرفات الحيوانات في القطيع أو السرب عندما يهدد حياتها خطر أو لأي سبب آخر. وهو مصطلح يُطلق على سلوك الأشخاص في الجماعة عندما يقومون

بالتصرف بسلوك الجماعة التي ينتمون إليها دون كثير من التفكير أو التخطيط. فعقولهم تبقى مقفلة ومعطلة عن التفكير واتخاذ أبسط القرارات التي تهمها، وتتبع الأكثرية من حولها عشوائيًا بغض النظر إن كانت الأكثرية على صواب أو خطأ، على حق أو باطل، فتصبح اتكالية على الآخرين مسلوبة الهوية والثقة بالنفس عاجزة عن اتخاذ أي قرار.

ليس شرطًا بأن تكون الأكثرية دائمًا على حق وصواب فيتم اتباعها فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تثبت ذلك ومنها قوله تعالى: **{... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**[208]**}**... **{... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**[209]**}**. كما يوجد آيات في الطرف المقابل امتدحت القلة كقوله تعالى: **{... وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**[210]...**{... ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}**[211].

ومن الخطأ تقديس أي شخص واتخاذه قدوة يُحتذى به إلى درجة أن يُنظر إلى سيئاته كأنها حسنات والسير على نهجه في جميع أقواله وأفعاله بدون إعمال العقل والفكر وتقييم الإيجابيات والسلبيات، والمخاطر والمنافع. فبدلًا من الانجرار في سلوك القطيع فقد يكون رأيك صائبًا ومخالفًا لرأي المجموعة وإذا ما كنت كذلك متمسكًا وواثقًا به فقد تتمكن من إقناع المجموعة لتغيير رأيها إذا ما ابتدأت بالرأس الكبير وتمكنت منه.

الحق لا يُعرف عادة بالرجال بحيث تثق بقدوتك وتعتقد بأنه هو الذي يتبع الحق ويعرفك إليه، والواقع هو أن تعرف الحق أولًا وهو الذي يعرفك إلى الأشخاص كما قال الإمام علي عليه السلام: "إن الحق والباطل لا يُعرفان بالناس، ولكن أعرف الحق باتباع من انتبعه، والباطل باجتناب من اجتنه"[212].

ومن المفاهيم المغلوطة اتباع الآباء والأجداد تسليمًا بأنهم على الصواب والحق بلا تفكير كما قال تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ}**[213]. لقد وهبنا الله عز وجل العقل لنميز بين الحق والباطل، بين ما ينفعنا وما يضرنا، ونبحث ونفكر ونتدبر ونحلل بعيدًا عن العاطفة والمؤثرات الجانبية، ويكون قرارنا لأي شأن مبنيًا على معرفة وإدراك وقناعة وليس على ما كان يعمله آباؤنا.

وقد يخرج من يتشدق بإعمال العقل والفكر في مختلف المجالات ولكنه يخرج بأفكار مغلوطة ومضللة ومشبوهة بعيدة عن الحق والصواب فلا ينبغي الانخداع والجري خلفه عشوائيًا،

والاعتقاد بأنه صاحب مشروع يستحق اتباعه واتخاذه قدوة. فهذه العينة لا تقل خطرًا عن غيرها ونهاية مصيرها تمثله الصورة المشهورة لسلوك القطيع عندما قفز أحد الخراف من سفح جبل عالٍ فتبعه باقي القطيع - التي قيل بأن عدده 500 أو 1500 - كان مصيرها جميعًا الموت والهلاك والضياع.

يسعد الإنسان في بداية الأمر عندما يتبع سلوك القطيع ويكون في راحة وقد ضمن تأييد ودعم المجموعة، وأنه أصبح معهم وغير شاذ عنهم، وتجنب المواجهة والانتقاد، ولكن في ذلك خسارة للطاقات والكفاءات التي يتم تجميد عقولها عن التفكير والتخطيط والخروج بأفكار ومرئيات قد تكون أكثر نضجًا وحكمة وإبداعًا وفائدة للمجتمع.

ثقافة العطاء

سُئِل أحد الحكماء، ما الفرق بين من يتلفظ الحب وبين من يعيشه؟

قال الحكيم: سترون الآن، ودعاهم إلى وليمة وبدأ بالذين لم تتجاوز كلمة الحب شفاههم ولم ينزلوها بعد إلى قلوبهم، وجلس إلى المائدة وجلسوا بعده. ثم أحضر الحساء وسكبه لهم وأحضر لكل واحد منهم ملعقة بطول متر! وأشترط عليهم أن يحتسوه بهذه الملعقة العجيبة، وحاولوا جاهدين لكن لم يفلحوا فكل واحد منهم لم يقدر أن يوصل الحساء إلى فمه دون أن يسكبه على الأرض!! وقاموا جائعين في ذلك اليوم.

قال الحكيم: حسنًا، والآن انظروا... ودعا الذين يحملون الحب داخل قلوبهم إلى نفس المائدة فأقبلوا والنور يتلألأ على وجوههم المضيئة، وقدم لهم نفس الملاعق الطويلة! فأخذ كل واحد منهم ملعقته وملأها بالحساء ثم مدها إلى الشخص الذي يقابله، وبذلك شبعوا جميعًا، ثم حمدوا الله.

وقف الحكيم وقال: من يفكر على مائدة الحياة أن يشبع نفسه فقط؛ فسيبقى جائعًا، ومن يفكر أن يشبع أخاه فسيشبع الاثنان معًا.

قصة يُقال إنها من الأدب التركي معبرة جدًا توضح بأن الحياة ليست في الاكتفاء بالأخذ من الآخرين دون العطاء، وليست لمن لا ينظر إلا لنفسه ولا يهتم بمن حوله ممن هم بحاجة إلى عطائه ولطفه. تتمثل الحياة الحقيقية بالبذل والعطاء لمن حولك ابتداء من القريب إلى البعيد. فبالعطاء يشبع الجائع ويُروى الظمآن ويُكسى العريان وتُرسم البسمة على شفاه لطالما سلبتها منها ظروف الحياة وقسوتها، وبالعطاء يتحقق التكاتف والتعاون ليصبح الجميع جسدًا واحدًا تكتنفه المحبة والألفة، وبالعطاء ترتقي الأمم وتسمو الشعوب وتزدهر الأوطان وتتجسد أعلى مراتب الإنسانية.

العطاء سمة إنسانية يشعر بحلاوتها من يسخِّر نفسه للعطاء في أي مجال كان. من يعطي الآخرين يتمتع بالفكر الراقي الحضاري والإنسانية الكبيرة وصفاء الروح فكلما أعطى ونظر إلى من حوله بأنه سبب في إدخال البهجة والسرور عليهم، حفّزه وشجعه ذلك لتقديم المزيد من العطاء لكي يعيش من حوله بهناء وينعم هو بالرضا الذاتي، ويرتقي بارتقائهم. من يعطي بإخلاص يتحرر من قيود الأنانية وحب الذات ويسعد كلما خلق جوًا من البهجة والسعادة في البيئة المحيطة به.

عندما تعطي لا تكن انتقائيا في عطائك لمن تعرف فقط ومن بينك وبينه مصلحة ومنفعة أو تتوقع منه أو من أحد المقربين إليه شيئًا من ذلك. عندما تعطي لا تنتظر رد الجميل والجزاء والشكر والثناء. عندما تعطي أعطِ قربة لوجه الله تعالى ولا تتبع عطاءك بالمن والأذى. عندما تعطي إياك أن ترى الذل والانكسار على وجه من تعطي وتريق ماء وجهه، فالله خلقه وكرمه فاحفظ له كرامته وماء وجهه. قال الإمام الحسن عليه السلام.

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل

تجود قبل السؤال أنفسنا خوفًا على ماء وجه من يسل

جميل أن يعطي الإنسان من يعطيه ويرد له الجميل، وجميل أن يعطي من يعرفه ولكن الأجمل والأعظم أن يعطي من حرمه ومن لم يعرفه. يقول كارل مور في كتابه (18 قاعدة للسعادة): أعطِ بلا مقابل ولا تُركِّز فقط على من تعرفه أو بينك وبينه قرابة أو صداقة. حاول بين الفينة والأخرى أن تدفع مثلًا قيمة غسيل السيارة التي خلفك حتى وإن لم تكن تعرفه ليتفاجأ هو بذلك. حينها ستغمره السعادة وينبهر من هذا العمل ولربما يطبق ذلك مع شخص آخر وتستمر الحلقة مع أكثر من واحد.

عندما سمع بعض الأشخاص بذلك قالوا إن ذلك في عالم المثاليات والخيال وغير موجود في هذه الأيام. بينما البعض الآخر استنكروا ذلك وأخذوا يسردون بعض المواقف المجيدة الأعظم من مجرد دفع قيمة غسيل سيارة لشخص لا تعرفه. نعم الأمثلة كثيرة يطول المقام بذكرها في هذه المقالة ولكن لا غرابة في ذلك، وهو خُلُق سيدنا وقدوتنا صاحب الخلق العظيم حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك"[214]. فلا تنتظر مبادرة الآخرين بالتواصل معك والعطاء والعفو بل كنْ

أنت المبادر وابحثْ عمن لا يصلك وصله، وعمن لا يعطيك وأعطِه فذلك سيكون له انعكاسات إيجابية تجعله يشعر بالخجل ويحذو حذوك في الاقتداء بالأخلاق المحمدية.

وإذا كنت معطيًا فلا تعطِ ما لا تهواه ولا تحبه نفسك، ولا تعطِ الأشياء التالفة والقديمة بدافع التخلص منها فالخير كل الخير في تقديم الأشياء المحبّبة إلى قلبك والتي تكون في صراع مع نفسك للتبرع بها كما قال تعالى: **{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}**[215]. إنك حين تعطي فإن عطاءك لله أكرم الأكرمين فكنْ على ثقة بالله بأنك لن تفتقر أبدًا بسبب عطائك في حب الله وأن الله حتمًا سيخلف عليك ويعوضك أضعاف ما صرفت فالله كريم لا بُخل في ساحته. قال تعالى: **{... وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا...}**[216]. وقال تعالى: **{... وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**[217].

إن مجالات البذل والعطاء كثيرة وأبوابها مشرعة لينهل منها من أراد سواء كانت مادية أو معنوية كل حسب مقدرته وتخصصه وخبراته عبر الجمعيات والمؤسسات الخيرية وغيرها من الأنشطة الاجتماعية والثقافية. العطاء ليس شرطًا بأن يكون كثيرًا فكل على حسب مقدرته، فمن لا يملك الكثير حريٌّ به أن يتدرب ويربي أبناءه على إعطاء القليل حتى وإن كانت الكلمة الطيبة والابتسامة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: "الكلمة الطيبة صدقة"[218]، و"تبسمك في وجه أخيك صدقة"[219].

لقد سطر لنا التاريخ الإسلامي أروع الأمثلة وأنبلها في العطاء ملأت صفحات الكتب، وأكتفي بالإشارة إلى عطاء أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام التي بذلت كل ثروتها الطائلة في خدمة الدين ولإعلاء كلمة الله عز وجل. والعطاء ليس مختصا بأمة دون أخرى بل أن المتابع للساحة العالمية يسمع ويرى ما لا يصدقه العقل من العطاء السخي بملايين الدولارات ممن لا يعتنقون الدين الإسلامي في كثير من الدول لخدمة الفقراء وعلاج الأمراض المستعصية وغيرها في جميع أنحاء العالم. ومنذ عام 2012 تم تخصيص يوم عالمي للعطاء (#GivingTuesday) تُجمع فيه الملايين من الدولارات من مختلف دول العالم للأعمال الخيرية، ولا يقتصر فيه العطاء على المال فقط بل يشمل الوقت والجهد والهدايا والدعم الإعلامي بشتى صوره لحث وتشجيع الآخرين على المشاركة والعطاء.

ولله الحمد يوجد في وسطنا الاجتماعي أيضًا بعض النماذج المشرفة التي نذرت نفسها لتلمس احتياجات المجتمع والمبادرة بالبذل والعطاء بسخاء لسد أي عوز ورفع حاجة الفقراء والمحتاجين والأيتام، بل أبعد من ذلك بالمساهمة في مشاريع رائدة لرفع مستوى المجتمع والرقي به كتزويج الشباب وتكريم المتفوقين ودعم المسيرة العلمية والأنشطة الثقافية والاجتماعية، وتشجيع المفكرين والمبدعين، وعلاج المرضى والمعاقين وغيره من المشاريع الخيرية الإنسانية. والمجال المعنوي لا يقل شأنًا أيضًا حيث ساهم الكثير من الإخوة والأخوات بالتضحية بأوقاتهم وبذلوا قصارى جهدهم تطوعًا لخدمة أبناء مجتمعهم في مختلف المجالات المذكورة أعلاه، كل حسب تخصصاته وإمكاناته وقدراته، فالمال وحده لا يكفي ولا بدّ من وجود من يتحمل المسؤولية بوقته وخبراته وعلمه ليكمل كل منهما الآخر.

من المواقف التي أُعجبتُ بها عندما كنت في لندن الإقبال الشديد على التطوع في أي مجال خيري بغض النظر عن العمر وقد شدني التزام بعض المتطوعين ممن كانوا في عمر يتجاوز الستين ولم يمنعهم ذلك من المشاركة ولو بجزء يسير من وقتهم. في مجتمعنا هل يا ترى أن عدد المتطوعين وعدد الباذلين ومقدار العطاء يتناسب مع عددنا ومع الحاجة المتمثلة على أرض الواقع من الناحية المادية والمعنوية؟ أم أنَّ كلًّا منا بحاجة للتحرر من قيود البخل والشح والأنا وحب الذات ووضع أهداف سامية مادية ومعنوية للعطاء بحب وإخلاص في أي مجال يناسبه للرقي بمجتمعنا ووطننا الغالي؟

الإمام الحسن.. وحفظ ماء وجه السائل

عُرف الإمام الحسن بن علي عليه السلام بكريم أهل البيت لما تميز به من عطاء وكرم فقد خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات.

وقد ورد العديد من المواقف في الكتب المعتبرة ومنها عندما جاءه بعض الأعراب فقال: أعطوه ما في الخزانة فوجد فيها عشرين ألف دينار فدفعها إلى الأعرابي فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي. فأنشأ الإمام الحسن:

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل

تجود قبل السؤال أنفسنا خوفًا على ماء وجه من يسل

نستلهم من هذا الموقف دروسًا قيمة من الإمام الحسن بالتحلي بالكرم ونبذ البخل، والمبادرة بالعطاء لكي لا يُرى الذل والانكسار على وجهه السائل وليُحفظ ماء وجهه وكرامته.

ليس من الإنصاف التعميم بالقول بأن المجتمع في عصرنا الحالي لا يراعي هذه الأمور مع السائلين والمحتاجين إلا أنه لا يخلو من وجود بعض المواقف والحالات التي لا تعبأ بكرامة الإنسان ولا بماء وجهه وسنقف عند البعض منها.

ليس شرطًا في قبول العمل بأن يكون العطاء والإنفاق مقتصرًا على السر وإن كان هو الأفضل بأن "لا ترى شمالك ما أنفقت يمينك". قال تعالى: **{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**[220]. وقال تعالى: **{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**[221].

ولكن قد يقتضي الحال بأن يكون العطاء علنًا لأسباب ومآرب لسنا في صدد التطرق إليها هنا بشرط أن لا يشوب نية العمل الرياء والسمعة والمن والأذى فيضيع الأجر والثواب. قال تعالى: **{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**[222].

من الصور التي يُؤسف لها عندما يكون العطاء عند البعض مرهونًا بالصور والفلاشات والحملات الإعلامية ويتناسب معها تناسبًا طرديًا. فكلما كان الإعلام مكثفًا وكثرت الصور والنشر والدعاية عبر قنوات التواصل الاجتماعي، صار العطاء أكثر وأجزل. والعكس صحيح عندما يكون العطاء في غرفة مغلقة تخلو من الضجة الإعلامية، وليس فيها إلا الكاميرات الإلهية. عندما يكون الهدف من العطاء إعلاميًا ليس قربة إلى الله تعالى يكون جُلّ اهتمام الشخص بذاته وآخر ما يخطر على باله هو الخوف على ماء وجه السائل ومراعاة مشاعره.

البعض قد يعطي أشياء عينية ولكنه يحرص على طباعة أو نقش اسمه أو اسم مؤسسته عليها بحيث تكون بارزة كما حدث في أحد المواقف التي كانت تسبب حرجًا كبيرًا وتفضح الأطفال عندما طبع المتبرع اسمه على الحقائب المدرسية.

ومن المواقف التي يرويها أحد الشباب المحتاجين يقول: كنت في أمس الحاجة بسبب الديون التي أرهقتني فتقدمت لأحد الأشخاص أطلب منه المساعدة فانهال عليّ بالإهانة وأحرجني أمام الآخرين وتمنيت بأن الأرض قد انشقت وابتلعتني على أن أقف هذا الموقف الذي لم يَحفظ لي أي كرامة بالرغم من علو قدره ومكانته الاجتماعية.

ونكتفي بآخر موقف بخصوص التسويق للمحتاجين الذي أخذ بالانتشار في عصرنا عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي. فما أن تقع إحدى القنوات الإعلامية على حالة لأحد المحتاجين تهتم بأن يكون لها السبق الصحفي في نشر الخبر، وبعدها تحاول كل قناة باختلاف أنواعها الوصول إلى هذه الحالة وتصويرها وعمل اللقاءات معها ونشرها من جهتها، وكان الله في عون صاحب الشأن فكل إعلامي يحرص على أن لا تفوته هذه المادة الدسمة التي أريق ماء وجه صاحبها ولم يبق أحد لم يعرفه. ربما يكون الأمر مزيجًا بين الشهرة والنوايا الحسنة والإنسانية ولكن هل انتهى الأمر؟ كلَّا.. الخطوة التي تليها خروج أصحاب الأيادي البيضاء ومن أنعم الله عليهم بمختلف التبرعات التي عادة ما تكون علنًا إلا ما شاء الله. ولا يُستبعد أن يكون بعض هذه التبرعات ممن يعيش بالقرب من

هذه الحالة ويعرف أوضاعها على مدى سنوات إلا أنه لم يحرك ساكنًا حتى تناولها الإعلام!! وأي ماء وجه بقي لكي يُحفظ لهذا السائل؟!

خدمة المجتمع وإخلاص العمل لله

حثت ورغبت الشريعة المقدسة في السعي لخدمة الإخوة المؤمنين لما لها من الفضل والثواب عند الله عز وجل. فها هو رسول الله ﷺ يقول بأن أحب الخلق إلى الله هم أنفعهم للخلق كما ورد في الحديث: "الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله عز وجل أنفعهم لعياله"[223]. وعن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: "اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتتحول إلى غيركم"[224]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "من سعى في حاجة أخيه المسلم وطلب وجه الله، كتب الله له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه"[225]، وعنه أيضًا "من قضى لأخيه المؤمن حاجةً، قضى الله عزّ وجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أوّلها الجنة"[226]، والكثير من الروايات.

مجالات الخير والعمل التطوعي كثيرة ومتنوعة في مجتمعنا وهنيئًا لمن وفق لهذه النعم الإلهية وانفتحت له بعض من أبواب الرحمة الربانية ليتشرف ويحمل وسام الخدمة على صدره لإخوانه المؤمنين. العطاء غير محصور بنشاط معين أو جهة اجتماعية محددة فالساحة تسع الجميع ليقدموا خدماتهم كل حسب طاقاته وإمكاناته وميوله ورغباته ليقضي حاجة لإخوانه ويدخل الفرح والسرور عليهم فيكون كمن أدخل السرور على رسول الله ﷺ كما قال: "من سرّ مؤمنًا فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله"[227].

إنه طريق من طرق الخير والتوفيق الإلهي، ولكنه طريق خطر يمكن أن تنزلق وتزلّ قدم المتطوع فيه ويذهب عمله هباءً منثورًا من حيث لا يشعر، وهو يظن أنه يحسن صنعًا ويسير على الطريق السليم. قال الله تعالى: **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}**[228].

هذه المجالات عادة لا يتقاضى عليها الشخص أجرًا ماديًا (أو ربما يتقاضى البعض شيئًا رمزيًا)، وتكون خالصة قربة إلى الله تعالى. وهنا تكمن الخطورة مع النفس الأمّارة بالسوء عندما تُزيّن هذا العمل لصاحبه وتجعله يسعى ويفتش عن الوجاهة الاجتماعية، والمكانة والمنصب، والسمعة والشهرة ليُشار إليه بالبنان ويذيع صيته، ويبحث عن الشكر والثناء والتكريم من المخلوق وليس من الخالق جلّ وعلا. عندما يشوب عمله الرياء ولا يكون قصده وهدفه الباطني خالصًا لوجه الله تعالى فلا تنفعه لقلقة اللسان بأنه يقوم بذلك قربة إلى الله تعالى فهو يتعامل مع من لا يخفى عليه شيء ولا يمكنه خداعه **{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}**[229].

وما أُبَرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وكل من سلك هذا الطريق فهو بحاجة لأن يختبر نفسه بين الفينة والأخرى ويسأل نفسه ما هو الدافع والحافز من قيامه بما يقوم به. أهو خالص لوجه الله تعالى أم أنه من أجل الشهرة والسمعة، والوجاهة والمنصب، وليسمع عبارات الشكر والثناء من المخلوق، ويُشار إليه بالبنان، وتلاحقه الفلاشات وكاميرات التصوير لتملأ الصحف والمواقع الإلكترونية، و.. و.. و؟ كل من انخرط في هذا المجال فهو بحاجة لاختبار عملي كما أورد السيد دستغيب في كتابه (القلب السليم): "لو وُجد طالب علم يتصدى لتدريس العلوم الدينية فعليه أن يختبر نفسه هل أن ما يقوم به عبادة وطاعة لأمر الله أو أنه لإبراز نفسه وكمال ترويحها والتظاهر وزيادة الأتباع والأنصار. فلو أنه شعر بالألم والانكسار والتأثر عندما يقل أتباعه أو ينصرفون إلى شخص آخر ويصغون لغيره ويمدحونه فعليه أن يراجع نفسه ونيته والدافع لما يقوم به". وعلى ذلك لو وُجِد شخص في مؤسسة تطوعية وطُلب منه التنحي لوجود من هو أكفأ منه وأنفع لتقديم خدمات أفضل فليسأل نفسه هل يتنازل له أم أن ذلك يزعجه ويرفض التخلي عن الكرسي؟ فإن رفض فليراجع حساباته طوال سنوات خدمته هل كانت حقًا خالصة لوجه الله تعالى بقلبه، أم أنها مجرد كلمات امتزجت بِلعابه ليحقق أغراضًا ومصالح شخصية من خلال هذا الباب؟

ورد في الحديث القدسي: "الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببته من عبادي"[230]. لا شك بأن الأعمال بالنيات ولا ينبغي الدخول في النوايا والحكم على أحد من الخلق وكل شخص هو أعرف بنفسه. نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا وأن تكون قلوبنا أوعية لهذا السر، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

الرياء يُفسد الأعمال

لا ضير في الإنفاق ليلًا ونهارًا سرًّا وعلانيةً، فكل إنسان له أجره عند الله عز وجل كما ورد في كتابه المجيد: **{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**[231].

لوحظ في السنوات الأخيرة ولله الحمد تفاعل ملموس من قِبَل أبناء المجتمع والوكلاء بالاستفادة من الحقوق الشرعية في دعم جمعيات البر وتحسين المستوى المعيشي للفقراء والمحتاجين ودعم الشباب المقبلين على الزواج. ومع هذا التفاعل انتشرت العديد من شهادات الشكر والتقدير للداعمين من باب من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق. ومن جانب آخر لم يخلُ الأمر من التحفظ من قبل بعض أبناء المجتمع. شهادات الشكر والتقدير لها إيجابياتها وقد يُنظر إليها من باب التشجيع والتحفيز للمتبرعين وللآخرين لزيادة العطاء، وقد يكون من باب الشفافية مع المجتمع لأحد موارد صرف الحقوق، وقد يكون للداعمين والمستقبلين أيضا أغراض ومآرب حسنة أخرى.

ومن التحفظات التي يطرحها البعض: لماذا العلانية بينما صدقة السر أفضل؟ نعم لقد ذكر الله عز وجل بأنه لا إشكال في إبداء الصدقة وإن كان الإخفاء هو خير وأفضل. قال تعالى: **{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**[232].

والأحاديث الواردة في صدقة العلانية وصدقة السر كثيرة نكتفي منها بهذين الحديثين. قال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ...}**، (يعني الزكاة المفروضة)، قال الراوي: قلت: **{... وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ...}**؟ قال: يعني النافلة، إنهم كانوا يستحبون إظهار الفرائض وكتمان النوافل[233]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: لا تتصدق على أعين الناس

ليزكوك، فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك، فإن الذي تتصدق له سرًّا يجزيك علانية[234].

ويبقى الجدل بين مؤيد ومعارض لشهادات الشكر والإنفاق علانية الذي لا إشكال فيه حسب الآيات والروايات، وإن كان الإنفاق سرًّا أفضل. ولكن تكمن الخطورة في صدقة العلانية عندما تكون النفس الأمارة بالسوء هي سيدة الموقف فتُصاب بالعُجب بما تُنفق وتبتهج بعبارات المدح والثناء الموَجَّهة إليها، وتخرج من دائرة الإخلاص والقربى إلى الله إلى دائرة الرياء والسمعة والشهرة. وعليه ربما يحتاج الوضع أن يكون أكثر ضبطًا ويقنن من قبل الجمعيات ومراكزها حسب طبيعة المتبرعين ونفسياتهم، وعدم المبالغة والإكثار من شهادات الشكر والتقدير، وتكثيف نشرها لكي لا تكون هذه التجارة مع الله هباءً منثورًا لو داخلها شيء من الرياء والعياذ بالله، ولا ينبغي الشك والخوض في النوايا.

إذا أردت أن تأخذ مكاني.. فخذ إعاقتي

عبارة جميلة أعجبتني في أحد مواقف السيارات لذوي الاحتياجات الخاصة. سابقًا كان يُكتفى بوضع اللوحة الخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة، وأحيانًا توضع لوحة يُكتب عليها "مواقف لذوي الاحتياجات الخاصة" لحجز بعض المواقف القريبة من المدخل للمجمعات التجارية أو الفنادق أو المجمعات الحكومية أو المساجد أو غيرها، رأفة بحالهم وتقديرًا لظروفهم.

لا شك بأن العبارة التي احتلت عنوان هذه الأسطر لم تأتِ من فراغ، بل أنها لتبث رسالة قوية معبرة لمن انعدمت لديهم الرحمة والإنسانية وأصبحوا ينافسون ذوي الاحتياجات الخاصة وينازعونهم لاحتلال هذه المواقف بالرغم من تمتعهم بالصحة والعافية وقوة أبدانهم التي لا يضر بها المشي عشرات بل مئات الأمتار.

في الطرف المقابل يقف الإنسان إجلالًا وتقديرًا لشباب في بعض المساجد عندما تمتلئ المواقف ويأتي كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة، يقومون بإنزالهم بالقرب من بوابة المسجد وتَولي المهمة في البحث وإيقاف سياراتهم بعيدًا. وبعد انتهاء الصلاة يقومون بإحضار السيارات لأصحابها مع ابتسامة جميلة كخدمة إنسانية لوجه الله تعالى.

فهل لدينا القابلية والاستعداد لأخذ الإعاقة قبل أخذ المواقف الخاصة بهم؟! أم أنَّها قد تكون فرصة لرياضة المشي ولو لخطوات معدودة لتلك الأبدان التي اتسمت بالكسل، وأصبحت لا تستغني عن السيارة لبلوغ أقرب الأماكن.

تقديس القدوة

من وصية لمولانا الإمام الحسن الزكي المجتبى عليه السلام لجنادة: "استعد لسفرك، وحصِّلْ زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا، والموت يطلبك"[235].

هل نحن على استعداد للسفر من هذه الدنيا وقد أعددنا الزاد الكافي قبل أن يطلبنا الموت ونحن نلهث خلفها بعقول معطلة مجمدة؟

في حياة كل إنسان مجموعة من البَشر جعلهم قدوة يحتذي بهم ويستلهم من قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وسلوكهم وعلومهم وثقافتهم وفكرهم، ويستنير بنهجهم، ويسجل لهم حبًّا وتقديرًا ويجعل لهم هالة إعجاب فوق برج عالٍ بل قد يتجاوز الأمر ويصل إلى التقديس والعمل وفقًا لقولهم وعملهم، حتى وإن تطلب الأمر تعطيل العقل والتفكير. حالة القدسية التي سيطرت على العقل كفيلة بأن تجعل العين ترى كل شيء يصدر من القدوة حسنًا وجميلًا، بل حتى لو صدر ما ليس متوقعًا أو ما يتنافى مع ما تبرمج عليه العقل خلال فترة زمنية طويلة سيتم البحث له عن مبررات تبعد الشك والريب، وتقلب السيئات إلى حسنات، وتحفظ الصورة الناصعة من التشويش والضبابية لتبقى القدوة هي القدوة! قال الإمام علي عليه السلام: "عين المحب عمية عن معايب المحبوب، وأذنه صماء عن قبح مساويه"[236].

ليس كل شخص يحتمل هول الصدمة واهتزاز الصورة المشرفة التي يفخر ويعتز بها لقدوته.. فالبعض يُصاب بإحباط شديد وانتكاسة ويقف على مفترق طرق؛ إما أن يتخذ قرارًا صارمًا يحفظ له كرامته وعزته، ويحترم عقله الذي أنعم الله به عليه مهما كانت النتائج قاسية؛ ومنهم من يجعل على عينيه ما يحجب الحقيقة المرة التي تدمر القدوة التي كانت له نموذجًا يفخر به عبر حقبة من الزمن، وتحطم كيانه، وتقتل آماله وأحلامه، ويبقى مخدوعًا مغشوشًا يعيش في دوامة من الأوهام المضلِّلة داسًا رأسه في التراب لكي لا تسقط القامة من عينه.

متلبِّس بعباءة الدِّين!!

انتشر مؤخرًا مقطع فيديو تم القبض فيه على شخص من خارج البلاد متلبِّسًا بعباءة الدين يُهرب مخدرات تحت عمامته ولكن نباح الكلب قد فضحه...

ومن قبله انتشر خبر لشخص مماثل يسرق ويختلس، وآخر لشخص من نفس الشاكلة يسب ويلعن ويضرب رجلًا في الشارع وهو بعباءته وعمامته..

والقائمة تطول بمثل هذه الأعمال المشينة اللاأخلاقية التي تنسب لرجال الدين وهم منها بُراء. هذه الشرذمة - ومن هم على شاكلتها - لا ينبغي أن تشوه صورة رجال الدين الأتقياء الفضلاء ولا صورة الطائفة التي ينتمون إليها وكل يتحمل وزره. إنه تجنِّي على رجال الدين عندما نعمم ونقول رجل الدين صار سارقًا أو مجرمًا بينما السارق والمجرم هو من تلبس بلباس الدين وانتحل شخصية طالب العلم. فالإجرام كان أصله ومتأصل في نفسه إلا أنه تلبس بعباءة الدين لتكون له ساترًا وحصانة لأعماله الشيطانية باعتقاده أنها ستنطلي على الناس وستخفى على الله عز وجل.

الإنسان ليس معصومًا من الخطأ وباب التوبة مفتوح للجميع، والله يمهل ولا يهمل، والله ستار على العباد وأمر عباده بالستر. ورد عن الإمام علي عليه السلام : "لو تكاشفتم ما تدافنتم"؛ ولكن التمادي في اقتراف المعاصي والإصرار والجرأة على الله تجعل الستر ينكشف عن هذا الإنسان ويفتضح أمره بين الملأ طال الزمن أو قصر. حينها لا يلومَنّ إلا نفسه عندما يفقد كرامته وهيبته واحترامه ومكانته التي انخدع بها المجتمع.

ولله الحمد بأننا لم نُبتلَ كثيرًا بمثل هذه القضايا والمواقف اللاأخلاقية من حولنا، ولكن ينبغي الوعي واكتساب الدروس والعِبر من الآخرين وأن لا تأخذنا في الله لومة لائم. وهنا يبرز دور رجال الدين والمؤسسات الدينية والمجتمع في عدم المجاملات والسماح لمثل هذه الشرذمة الشيطانية من

التوغل والتَّجَذر ونفث سمومها لكي لاتكون وصمة عار تلوث وتلطخ سمعة الدين ورجاله وسمعة الطائفة في أي بقعة من بقاع الأرض.

نبي الرحمة ودين المحبة والسلام

حقبة انتشرت فيها الأحقاد والكراهية والعداوة للمسلمين والإساءة بشتى صورها لنبينا المصطفى محمد ﷺ. لم تكتمل فرحة الطالب أحمد الأمريكي من أصل سوداني حين اخترع تلك الساعة وتفاجأ باعتقاله من المدرسة أمام زملائه بتهمة الإرهاب خوفًا من تفجير المدرسة بدلًا من تكريمه والإشادة به. وخشي ركاب حافلة في لندن عندما قام قائدها بالصلاة فظنوا أنها مُقدِّمة لتفجيرهم. وخرج من ينعق بمنع المسلمين من دخول بلاده، ومُنعت بعض الأسر من السفر إلى بعض البلدان، واشتدت المضايقات للكثير من المسلمين، و.. و.. والقائمة طويلة.

ما الذي خلق هذه الصور من الكراهية والعداوة للمسلمين وأثار هواجس الرعب في شتى بقاع الأرض وشوّه صورة الإسلام الناصعة الداعي إلى المحبة والسلام، وأساء إلى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

لقد ابْتُلي الإسلام بشرذمة ضالة شوّهت الصورة الناصعة بأعمالها المشينة الشنيعة مع المسلمين وغير المسلمين وعثت في الأرض فسادًا بالقتل والتفجير وقطع الرؤوس للأبرياء وتفجير دور العبادة وزعزعة الأمن والاستقرار، ما أثار الكراهية والحقد ورسم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين وانتشر الإسلاموفوبيا وتكالبت الاتهامات والتحذيرات وتزعزعت الثقة وساد الحذر في التعاملات والعلاقات.

ظهر الكثير من المسلمين يشجبون ويندون بهذه الأعمال وأنها لا تمت للإسلام وتعاليمه وأنها بعيدة كل البعد عن الأخلاق والصفات التي اتصف بها نبي هذه الأمة وقائدها ﷺ. ويكفينا فخرًا ما وصفه به الله جلّ وعلا في كتابه المجيد **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[237]؛ فقد استطاع بخُلُقه العظيم أن يكسب القلوب ويؤثر فيها وقد شهد له غير المسلمين بالصدق والأمانة حتى قبل بعثته. لم يُرسله الله ليبطش ويفتك بالعالم بل كان رحيمًا عطوفًا محبًا لا يحمل في قلبه غلظة تنفر من حوله.

وخير شاهد قول الله تعالى في كتابه المجيد: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[238]. لم تكن رحمته ورأفته خاصة بالإنسان بل امتدت لتشمل حتى الحيوان وكثيرًا ما أوصى بذلك في أحاديثه الشريفة.

نسأل الله أن يحفظ الإسلام وكرامة المسلمين، وأن يطهر الأرض من كل من يريد سوءًا للإنسانية والبشرية، وزعزعة الأمن والاستقرار.

الإسلام دين السلام..
(خطبة الجمعة من الحرم النبوي)

حملت خطبة الجمعة بتاريخ 13/ 10/ 2017م بين ثناياها رسالة الإسلام الحقيقية وصورته المجردة من التدنيس والتشويه من جوار صاحب الرسالة السماوية ومنهجيته المناشدة للحب والسلام. ولقد تشرفنا بتوفيق الله بالسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ والصلاة في مسجده الشريف حيث تناول فضيلة الشيخ الدكتور عبدالمحسن القاسم موضوع "السلام" في خطبة الجمعة. لقد كان الموضوع في قمة الأهمية لما حواه من مواعظ وتعاليم إسلامية سمحاء سأسلط الضوء على البعض منها في هذه الأسطر الموجزة.

بيَّن فضيلته في المقدمة أن السلام اسم لله تعالى شامل جميع صفاته، دال على تنزيه الرب وتقديسه، وبراءته من كل عيب، وتعاليه عما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته. وذكر بأن من أراد الأمن والسلام في نفسه وأهله ومجتمعه فعليه بدين الإسلام، وأنه كلما زاد تحقيق الإسلام في مجتمع عمّ فيه الأمن والسلام. وأن سلام هذا الدين شامل لجميع الخلق فكل من شهد الشهادتين فهو معصوم وحسابه على الله عز وجل. وذكر بعض الأحاديث الشريفة التي تحفظ سلامة الإنسان من كل أذى ومنها: "من قَتَل مُعَاهَدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة"، و"من أخاف معصومًا ولو بالإشارة فقد توعده الله"، و"من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه".

ولم يكتفِ الإسلام بسلامة الإنسان بل إنه كفل للبهائم والدواب عيشها وأمنها وسلامتها واستدل بأن امرأة دخلت النار في هرة، وبغيًّا سقت كلبًا فغُفر لها به. ومن جمال الإسلام وكماله أنه سنّ السلام للأحياء والأموات وليس أحد أحوج إلى الدعاء ممن فارق الحياة. وكان من هديه عليه الصلاة والسلام إذا أتى المقبرة يقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين".

وتابع قوله بأن الإسلام دين سلام شامل لجميع تعاليم الحياة، صالح لكل زمان ومكان، وفي أحكامه استقامة أمر الدنيا والآخرة، وسعادة البشرية، ومن تمسك به فاز وعز ونال رضا المولى. وأكد أن المسلم مأمور بنشر السلام بين الخلق بقوله وفعله. قال رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". كما امتدح الله من سالم الجاهل وقابل المسيء بالإحسان؛ قال تعالى: {**... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**}.

وتحدث عن تحية السلام وفضله وآدابه مشيرًا إلى أن تحية السلام هي من شعائر الدين ففيها الأمن والاطمئنان والألفة والمحبة. سُئل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام وتفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف". وقال: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أَوَلا أدلكم على شيء لو فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

انتهى كلام الشيخ القاسم... نعم لقد أشار فضيلته إلى ما يحقق الأمن والاستقرار والسلام وأن ديننا الحنيف هو دين السلام لكل من أراد الأمن والسلام في نفسه وأهله ومجتمعه، وأن الإسلام لم يهتم فقط بسلامة الإنسان بل كفل أمن الحيوان وسلامته. ولكن مع هذه التعاليم السمحاء من ينظر لواقعنا المرير في شتى بقاع الأرض يرى العجب العجاب من فئة محسوبة على الإسلام شوهت صورة الدين الناصعة بوقوفها ضد الإنسانية، وبعدوانيتها البشعة، وانتهاكها لحرمة الإنسان حتى أصبح دمه أرخص وأهون من دم الحيوان. فعلى المستوى العائلي يتهور البعض بالاعتداء على أحد أقرب المقربين إليه ويتسبب في إعاقته أو مفارقته للحياة بسبب خلافات شخصية تافهة. وقد يتفاقم العداء والكراهية بين المسلمين أنفسهم بمجرد اختلاف أطيافهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وذلك لاختلافهم في الفكر والرأي والعقائد. الاختلاف في الرأي أمر طبيعي ويستحيل أن يتفق الجميع على فكر ورأي واحد، والإنسان بحاجة لتقبل ثقافة الاختلاف والرأي الآخر، والتعايش السلمي الذي يدعو للوحدة والتلاحم. حتى وإن حصل اختلاف في بعض الأمور فلا يوجد مبرر لأي طائفة كانت للاعتداء والنيل والتسقيط نظرًا لوجود الكثير من القواسم المشتركة التي تجمعهم تحت شهادة التوحيد والنبوة، وتوجههم نحو قبلة واحدة، وتلاوتهم لكتاب واحد. الاحترام المتبادل لمعتقدات كل فئة وحرية العمل بها مطلب أساس للتعايش بأمن وأمان بالإضافة إلى نبذ العنف والكراهية، وعدم غرسها في صدور الأجيال البريئة، وعدم التعرض لرموز أي طائفة بما يسيئ ويؤجج نيران الفتنة والغضب، فالحساب والثواب والعقاب كله بيد الله عز وجل ولم يجعله في يد أحد من البشر.

الدين المعاملة وإنَّ كل شخص يسعى لتشويه صورة الإسلام ويسيئ للإسلام والمسلمين بالقول والفعل لا يمثل المسلم الحقيقي الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، ومهما ارتُكِبت من جرائم في حق الإنسانية سيبقى الإسلام هو دين السلام الذي جاء به خير الخلق وسيد الرسل أجمعين ﷺ.

مهارة التعامل مع الناس والاهتمام بهم

عندما تطلب من طفلك عمل شيء ما، ترى أحيانًا منه ممانعة ولكن عندما تربطه بشيء من اهتماماته تجد منه استجابة سريعة. وعندما تكون في منظومة عمل أو أي جهة وتطلب تغيير شيء ما، تجد مقاومة من الجهة المنفذة ولا تستبعد أن تسمع السؤال (ماذا يوجد في هذا التغيير لصالحي؟). وقد تطلب معلومات من شخص ولكنك لا تحصل على ما تريد بسهولة وإذا ما أعدت المحاولة مرة أخرى بعد معرفة اهتمامات الشخص ودخلت من خلالها وأوضحت له مدى اهتمامك به حصلت على ما تشاء وأكثر بيسر وسهولة.

للتأثير على الآخرين وكسب ودهم ونيل احترامهم وتقديرهم والحصول على ما تريد منهم لا تجعل نفسك محور الاهتمام وتنتظر منهم الإحاطة بك بل عليك أن تتنازل عن نرجسيتك وتتخلى عن أنانيتك وحب الذات وتجعل لهم نصيبًا من الاهتمام بهم وباحتياجاتهم وأولوياتهم وستلاحظ الفرق الكبير في مدى تفاعلهم واستجابتهم.

الحياة أخذ وعطاء وإن عودت نفسك على الأخذ فقط بدون عطاء، وأن تكون أنت المهم ساعيًا لتكون في الطليعة محتلًا الرقم واحد فلن يدوم لك ذلك طويلًا. الاهتمامات تختلف من شخص إلى آخر ويمكن معرفتها عن طريق الشخص نفسه أو أحد أقرانه أو المقربين إليه، أو عبر مشاركاته في وسائل التواصل الاجتماعي، وكل موقف يتطلب ربطه مع الاهتمام المناسب ليكون أكثر تأثيرًا.

كل شخص له أسلوبه ومهارته ومفاتيحه للدخول إلى قلوب الناس والتأثير فيهم ومن الأمور التي تُشعر الآخرين بالاهتمام بهم: التعامل معهم بالإيجابية والأخلاق الحسنة مثل التواضع والصدق والأمانة والحلم والتسامح والعفو، والبعد عن الأخلاق السيئة المنفرة، كالغرور والعجب والتكبر والكذب والغدر، والتواصل معهم في مختلف المناسبات من أفراح وأتراح، وزيارتهم والسؤال عنهم عند غيابهم، وعيادة مرضاهم، وحسن استقبالهم بوجه بشوش مبتسم ومراعاة مشاعرهم والرفق

بهم، وانتقاء الكلمات الطيبة عند الحديث معهم، وعدم الاستحواذ على جو المجلس عند الحديث بل إفساح المجال لهم والاستماع لهم للتعبير عن مشاعرهم وما يجول في صدورهم والاستماع إلى آرائهم ومقترحاتهم. وكذلك احترامهم وتقديم الشكر والثناء والمدح عند الاستحقاق، والتهادي، وحسن الظن والتغافل عن زلاتهم والعفو عن أخطائهم ومثالبهم، والبعد عن كثرة اللوم والعتاب المنفر، وعدم الإكثار من النصائح والتدخل في خصوصياتهم، وعدم التواني في تقديم ما يمكن من خدمات والمساهمة في قضاء حوائجهم، والإحسان إليهم بدون النظر إلى المقابل، والتحلي بالإيثار وتقديمهم على النفس بالتجرد من الأنانية.

قد ينظر البعض إلى المتطلبات بأنها كثيرة ويصعب تنفيذها كلها. نعم المفاتيح كثيرة وبإمكان أي شخص أن يختار ما يشاء من المفاتيح التي تتناسب مع الشخص الذي يتعامل معه فقد يكون أحد الأشخاص يكره التجاهل والتهميش وهنا ينبغي التركيز على مفتاح التواصل الفاعل معه ومراعاة هذا الجانب. شخص آخر قد يحب أن تعطيه قيمته وتقدر إنجازاته، آخر قد يأنس بالاستقبال بوجه بشوش مبتسم وبالترحيب، آخر قد يحب الاهتمام بهواياته ومهاراته وإبرازها، وآخر بالاستماع إليه، وهكذا كل حسب شخصيته ومجال اهتمامه وميوله الذي يمكن الدخول من خلاله إلى قلبه والتأثير فيه وكسب محبته.

الخاتمة

Notes

[1←]
الأمالي، الشيخ الصدوق، صفحة 484.

[2←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 16/ 210.

[3←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج68، الصفحة 385.

[4←]
جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج1، الصفحة 272.

[5←]
صحيح البخاري: 4/ 104.

[6←]
سورة ق، الآية: 18.

[7←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج19، الصفحة 245.

[8←]
الخصال، الشيخ الصدوق، الصفحة 406.

[9←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 117.

[10←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج2، الصفحة 1102.

[11←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج2، الصفحة 865.

[12←]

سورة الحجرات، الآية: 12.

[13←]
الكافي، الشيخ الكليني: 2/ 362.

[14←]
الخصال، الشيخ الصدوق، الصفحة 622.

[15←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 64/ 307.

[16←]
الخصال، الشيخ الصدوق، الصفحة 253.

[17←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 74/ 75.

[18←]
أمالي الطوسي: 7/ 8.

[19←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2217.

[20←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2288.

[21←]
سورة الفرقان، الآية: 63.

[22←]
تحف العقول، ابن شعبة الحراني، الصفحة 359.

[23←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج4، الصفحة 2813.

[24←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2217.

[25←]

سورة الشورى، الآية: 40.

[26←]
سورة النور، الآية: 22.

[27←]
نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج3، الصفحة 84.

[28←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج8، الصفحة 153.

[29←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج71، الصفحة 166.

[30←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج68، الصفحة 401.

[31←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 107.

[32←]
الأمالي، الشيخ الطوسي، الصفحة 522.

[33←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 1859.

[34←]
سورة الحشر، الآية: 10.

[35←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج8، الصفحة 153.

[36←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج20، الصفحة 39.

[37←]
نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج4، الصفحة 50.

[38←]

سورة الحجر، الآية: 88.

[39←]
الكافي، الشيخ الكليني: 121/ 2.

[40←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج4، الصفحة 3558.

[41←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 346/ 68.

[42←]
سورة الزخرف، الآية: 32.

[43←]
سورة طه، الآية: 131.

[44←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج8، الصفحة 243.

[45←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج8، الصفحة 244.

[46←]
سورة محمد، الآية: 36.

[47←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2638.

[48←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2638.

[49←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2638.

[50←]
روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، الصفحة 456.

[51←]

مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج2، الصفحة 310.

[52←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج66، الصفحة 399.

[53←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2008.

[54←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2638.

[55←]
روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، الصفحة 456.

[56←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2638.

[57←]
سورة إبراهيم، الآية: 7.

[58←]
الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي: 249/ 2.

[59←]
سورة إبراهيم، الآية: 7.

[60←]
سورة النجم، الآية: 32.

[61←]
سورة النساء، الآية: 49.

[62←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2865.

[63←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2865.

[64←]

ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2865.

[65←]
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: 245/ 7.

[66←]
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: 245/ 7.

[67←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2861.

[68←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2861.

[69←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 4/ 2861.

[70←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 256/ 18.

[71←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2860/ 4.

[72←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2863/ 4.

[73←]
سورة آل عمران، الآية: 188.

[74←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2863/ 4.

[75←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2863/ 4.

[76←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2863/ 4.

[77←]

ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2863/ 4.

[78←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2864/ 4.

[79←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2864/ 4.

[80←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2864/ 4.

[81←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2862/ 4.

[82←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2861/ 4.

[83←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2862/ 4.

[84←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2862/ 4.

[85←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2861/ 4.

[86←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2861/ 4.

[87←]
الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي: 249/ 2.

[88←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2862/ 4.

[89←]
الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي: 249/ 2.

[90←]

ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2860/ 4.

[91←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2862/ 4.

[92←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2864/ 4.

[93←]
الطبراني في الكبير: 23/ 14.

[94←]
سورة المائدة، الآية: 3.

[95←]
سورة الشورى، الآية: 23.

[96←]
الرواية الصحيحة هي "استدّ" بالسين المبهمة، ويكون المراد بها السَّداد في الرمي، وقد رواه بعضهم واشتهر بالشين "اشتد" التي هي بمعنى القوة.

[97←]
سورة الرحمن، الآية: 60.

[98←]
سورة الإسراء، الآية: 7.

[99←]
سورة فصلت، الآية: 34.

[100←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 641.

[101←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 641.

[102←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 641.

[103←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 107.

[104←]
تحف العقول، ابن شعبة الحراني، الصفحة 278.

[105←]
تحف العقول، ابن شعبة الحراني، الصفحة 269.

[106←]
سورة الأعراف، الآية: 79.

[107←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 208.

[108←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج4، الصفحة 3281.

[109←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج4، الصفحة 3281.

[110←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج1، الصفحة 120.

[111←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج75، الصفحة 374.

[112←]
عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، الصفحة 497.

[113←]
سورة الحجرات، الآية: 13.

[114←]
الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

[115←]
سورة الملك، الآية: 15.

[116←]
سورة الذاريات، الآية: 22.

[117←]
الكافي، الشيخ الكليني: 72/ 2.

[118←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 67/ 366.

[119←]
سورة يس، الآية: 82.

[120←]
سورة البلد، الآية: 4.

[121←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج2، الصفحة 1561.

[122←]
جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج3، الصفحة 231.

[123←]
سورة العنكبوت، الآية: 2.

[124←]
سورة البقرة، الآيتان: 155-156.

[125←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج18، الصفحة 232.

[126←]
سورة البقرة، الآية: 153.

[127←]
سورة المعارج، الآية: 5.

[128←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 93.

[129←]
سورة الزمر، الآية: 10.

[130←]
تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج17، الصفحة 245.

[131←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج3، الصفحة 223.

[132←]
سورة الأعراف، الآية: 126.

[133←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 39/ 56.

[134←]
سورة آل عمران، الآية: 159.

[135←]
سورة القلم، الآية: 4.

[136←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 102.

[137←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 102.

[138←]
سورة الأحزاب، الآية: 58.

[139←]
صحيح البخاري، كتاب الإيمان.

[140←]
سورة الشورى، الآية: 40.

[141←]
سورة النور، الآية: 22.

[142←]
الكافي، الشيخ الكليني: 2/ 108.

[143←]
سورة الحجرات، الآية: 6.

[144←]
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/ 720.

[145←]
الكافي، الشيخ الكليني: 2/ 200.

[146←]
الأمالي، الشيخ الصدوق، الصفحة 531.

[147←]
ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، الصفحة 241.

[148←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج72، الصفحة 222.

[149←]
عيون الحكم والمواعظ، علي الليثي الواسطي، الصفحة 436.

[150←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 2208.

[151←]
عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، الصفحة 523.

[152←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 359.

[153←]
تحف العقول، ابن شعبة الحراني، الصفحة 489.

[154←]
شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام، الصفحة 414.

[155←]
جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج2، الصفحة 209.

[156←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج20، الصفحة 62.

[157←]
سورة إبراهيم، الآية: 42.

[158←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 509.

[159←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2265/ 3.

[160←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2265/ 3.

[161←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2264/ 3.

[162←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2264/ 3.

[163←]
الكافي، الشيخ الكليني: 302/ 2.

[164←]
نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: 47/ 4.

[165←]
جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: 480/ 13.

[166←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 2264/ 3.

[167←]
جامع السعادات، محمد النراقي: 261/ 1.

[168←]
الأمالي، الشيخ المفيد، الصفحة 344.

[169←]
غرر الحكم: 1478.

[170←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 307.

[171←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج70، الصفحة 255.

[172←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج70، الصفحة 244.

[173←]
سورة النساء، الآية: 54.

[174←]
أصول الكافي: 2/ 307.

[175←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 630.

[176←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 307.

[177←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 630.

[178←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 313.

[179←]
سورة النجم، الآية: 32.

[180←]
سورة النساء، الآية: 49.

[181←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج3، الصفحة 1814.

[182←]
سورة الحجرات، الآية: 13.

[183←]
الأمالي، الشيخ الصدوق، الصفحة 531.

[184←]
سورة الحجرات، الآية: 11.

[185←]
سورة الحجرات، الآية: 12.

[186←]
جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: 445/ 13.

[187←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 17/ 113.

[188←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج5، الصفحة 569.

[189←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 644.

[190←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج2، الصفحة 1786.

[191←]
سورة الإسراء، الآية: 7.

[192←]
موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد الريشهري، ج4، الصفحة 329.

[193←]
مسند أحمد: 5/ 256.

[194←]
وسائل الشيعة آل البيت، الحر العاملي، ج20، الصفحة 356.

[195←]
سورة الإسراء، الآية: 23.

[196←]
سورة العنكبوت، الآية: 8.

[197←]
سورة الإسراء، الآية: 24.

[198←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 160.

[199←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج5، الصفحة 347.

[200←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 105.

[201←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج58، الصفحة 150.

[202←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 406.

[203←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج65، الصفحة 289.

[204←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج2، الصفحة 266.

[205←]
سورة المؤمنون، الآية: 70.

[206←]
سورة الأنفال، الآية: 46.

[207←]
شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج18، الصفحة 382.

[208←]
سورة غافر، الآية: 24.

[209←]
سورة العنكبوت، الآية: 63.

[210←]
سورة سبأ، الآية: 13.

[211←]
سورة البقرة، الآية: 83.

[212←]
الأمالي، الشيخ الطوسي، الصفحة 134.

[213←]
سورة المائدة، الآية: 104.

[214←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج2، الصفحة 107.

[215←]
سورة آل عمران، الآية: 92.

[216←]
سورة المزمل، الآية: 20.

[217←]
سورة سبأ، الآية: 39.

[218←]
جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج2، الصفحة 220.

[219←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج2، الصفحة 1597.

[220←]
سورة البقرة، الآية: 274.

[221←]
سورة البقرة، الآية: 271.

[222←]
سورة البقرة، الآية: 262.

[223←]
وسائل الشيعة: 16/ 345.

[224←]
بحار الأنوار: 75/ 127.

[225←]
الكافي: 2/ 197.

[226←]
الكافي: 2/ 193.

[227←]
الكافي: 2/ 188.

[228←]
سورة الكهف، الآية: 103-104.

[229←]
سورة غافر، الآية: 19.

[230←]
معجم المحاسن والمساوئ، 502.

[231←]
سورة البقرة، الآية: 274.

[232←]
سورة البقرة، الآية: 271.

[233←]
الكافي، الشيخ الكليني، ج4، الصفحة 60.

[234←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج75، الصفحة 284.

[235←]
بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج44، الصفحة 139.

[236←]
ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج1، الصفحة 498.

[237←]
سورة القلم، الآية: 4.

[238←]
سورة الأنبياء، الآية: 107.